مروة نصار

شيشتو

رواية

و النبوءة الملعونة

إبداع

الكتـــــــــاب: شيشنق والنبوءة الملعونة

المـــؤلـــــف: مروة نصار

تصميم الغـــلاف: محمد دربالة

المراجعـة اللغوية: مها سيد

الطبعة الأولي: فبراير 2019

رقـــم الإيـــداع: 27206 / 2018

الترقيـم الدولـي: 5 - 232 - 779 - 977 - 978

الإخـراج الفنـــي: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله

dreidibrahim@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

إبداع

العنوان: 10 ش هدى شعـــراوي، وســـط البـــلد، القاهـــرة

هاتف: 0223909119 - موبايل: 01001631173

البريد الإلكتروني: info@ibda3-tp.com

ibda3bookstore@gmail.com

شيشنق والنبوءة الملعونة

رواية

مروة نصار

الإهداء

إلى الحاضر الغائب أبي...

رغم رحيلك عن دنيانا منذ طفولتي، إلا أن حبك يزداد في قلبي مع مرور الزمن...

افتقدتك.. وحلمت بك كثيرًا... موتك أفقدني بهجة الحياة.. ولكن عزائي أني كنت ألجأ لدواء الكتابة،

ربما وجدتك فيها وتحدثت من خلالها معك،

أحبك يا أبي...

بقدر حزن طفلة استيقظت من نومها يومًا، ولم تجد أبيها

غفر الله ذنبك وجعل لك الجنة بيتك ودارك .

أمي...

يقولون الجنة تحت أقدام الأمهات، وأنا أقول إن الجنة تسكن قلبك، أدامك الله في حياتي.

زوجي....

يا رفيق الدرب.. يا من تدعمني في كل خطوة لي «أحبك»

عمي الحبيب صفوت... لا تستطيع الكلمات أن تصف مقدار حبي وامتناني لوجودك في حياتي .

أختي... أحب ك، أطال الله عمرك من أجلي وأجل أبناءك الغوالي

يوسف (القلب)، خالد (الروح)، عّمر (العين).

بنتيَّ صوفيا وجيانا...

أنتما نعمة من الله ،وهبة تملأ قلبي وروحي بالسعادة .

صديقاتي الغاليات

(أسماء ، نسمة ، آلاء ، شيماء ، نادية ، ابتسام ، نشوة ، هدير)

الصداقة كنز ثمين، وانتم كنزي الغالي

وختامًا

إلي كل من ساندني في دربي، وكل من أثنى على حروفي وكلماتي، لكم مني كل الشكر و التقدير.

عشقتك حتى الثُّمالة، وسافرت مع عشقك إلى ما لا نهاية،

حطمت كل الأسوار، ورفضت أي أقدار، أأنساكِ!!،

هذا ليس اختيارًا، لن أقبل بهواكِ بديلاً، لن أحيا بدونك فهذا مستحيلاً،

بموتك ستكتب البداية، وسأسطر للعالم عذابات النهاية، سألعن!!،

ولن أتراجع، فإني والله ملعونًا بحبك منذ الأزل،

موصومًا بعشقك حتى نهاية الأمد،

فلا ترحلي، لا تقبلي بالموت،

فَلو رحلتِ لن أرحم أحدًا.

الفصل الأول

جلست الأم مع صغيرها الذي لا يتعدى الخمس سنوات من عمره حيث أخذت تمشط له شعره وهي تُعيد على مسامعه وصية كل يوم، التي لا تكلَّ منها ولا تملّ:

-زين يا ولدي، يا قطعة من قلبي، أنت رجلي وسندي، نصيبك محفورعلى الجبين، من زمن غابر قديم، ولعنة ملعونين بها ليوم الدين، حذارِ يا ولدي من مخالفته، زين لزينة، وزينة لزين، هذا قدرك، إياك أن تنساه، حتى يتحقق المراد، وينعم علينا رب العباد وتتفك اللعنة، ويحل علينا السلام، زينة يا ولدي هي نصيبك، إياك تغير المكتوب، عشقك ليها قدرمحتوم، وقلبك لابد وأن يهواها، حتى من قبل لقياها، اجعل سلسال اللعنة ينتهي عندك يا ولدي، ردد معي زين لزينة، وزينة لزين.

جلس الصغير يتمتم بالكلمات خلف أمه، دون أن يدركها، ويتلوها سنوات تلو الأخرى حتى أتم الخامسة والعشرين من عمره، حاول خلال تلك السنوات إقناع والدته بالإفصاح عن أمرتلك اللعنة التي تؤرقها ليلاً ونهارًا، وباتت تؤرقه هو الآخر ولكن دون جدوى لم ترضخ له أبدًا.

ولكنها استطاعت أن تجعله يلبي لها مطلبها، بدون حتى أن يدرك هذا فأصبح قلبه متيمًا بزينة التي لا يعرف عنها سوى اسمها، لقد رسم لها صورة في مخيلته، وبات يناجيها ويحدثها دائمًا، صورة ليست واضحة،

ملامحها باهتة، لا يستطيع أن يحدد لها أوصافًا، ولكن تلك الصورة الناقصة ملكت فؤاده وكل حواسه، بينما لم تستطع أي امرأة حقيقية فعل ذلك.

ظل هكذا إلى أن جاء اليوم الموعود، اليوم الذي ستنتهي فيه الحياة كما عهدها من قبل، وسيبدأ حياة جديدة من عالم آخر لا يعرفه البشر، عالم لم يكن يعلم شيئًا عن وجوده، ولعنة ستغير مصيره بأكمله.

كان يجلس في مخدعه مُنْهك القوى شارد الفكر كحاله كل ليلة بسبب حقيقة تلك اللعنة التي تسوقه للجنون، وبينما هو كذلك دلفت والدته إلي غرفته دون أن يشعر بها، ولَم ينتبه إلا عندما وضعت يدها على رأسه قائلة: ما بك يا ولدي؟

رفع زين وجهه ونظرلها ثم أجابها بخفوت: ألمْ يَحِن الوقت أن ترحمي حيرتي؟ وتريحي قلبي، ألم يكفيكِ تلك السنوات التي مرت عليَّ وأنا أستمع لكلماتك التي باتت تتردد بأذني في كل وقت وحين، حتى صارت كالنغمة التي لا تريد الخروج من عقلي، تؤرقني وتمنعني حتى من النوم، ألا يرق قلبك لحال ولدك يا غالية القلب.

نظرت غالية لولدها وهي موقنة أن الوقت قد حان بالفعل؛ فالعمر لم يعد فيه الكثير، وعليها أن تصارحه الآن بما لم تقو عليه من قبل، لا يجب أن تماطل أكثر من هذا ولا أن تبرر لنفسها كل مرة سبب للتأخير، فلا يوجد سبب حقيقي سوى خوفها الذي يلازمها دائمًا، يسيطرعليها ويمنعها من البوْح له في كل مرة، ولكن لا مفر يجب أن لا تتراجع الآن.

جلست الأم بجوار ولدها وبهدوء وبصوت واهن مضطرب أجابته: ما سأرويه لك الآن قد تعتقد أنه دَرْب من الجنون، ولكن يجب أن تصدقني يا ولدي في كل ما سأقوله، أعلم أنه من الصعب على عقلك استيعاب كل تلك الحقائق ولكن لم يعد هناك في العمر الكثير، لقد كنت خائفة من مصارحتك، أرتعد من رد فعلك، ولكن لا يوجد سبيل آخر.

ثم بدأت غالية تروي لابنها سرها الدفين الذي حان الوقت لمعرفته: نحن يا ولدي الأمازيغ نحن أحفاد مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح، نسل مازيغ بن كنعان ولدين، هما مادغيس الملقب بالبتر والبرنس الملقب شعبه بالبرانس، نحن أحفاد مادغيس، نحن قبائل كثيرة ممتدة في جميع بقاع الأرض، كان الملوك والسلاطين يتهافتون علينا لينالوا رضانا، ولنقف بجوارهم في وقت الشدائد والحروب، حتى أن أعداد جنود الأمازيغ كثرت بين جيوشهم، نحن الملقبون بالرجال الأحرار.

صمتت بُرهة تلتقط أنفاسها وهي تشعر بالحسرة مما آلت إليه حالتهم وتتذكر كل ما كانوا عليه ثم أضافت: لقد هاجر الأمازيغ إلى مصر هجرتين: الأولى في عهد الفراعنة، والثانية بعد دخول الإسلام.

عائلتنا كانت ممن هاجروا الهجرة الأولى، وصل جدودك القدماء إلى مصر في عهد رمسيس الثالث وزادت أعدادنا على مدار مائتي عام، وأصبح لنا وجود قوي في الجيش، حتى جاء عهد جدك شِيشْنق، الذي كان جنديًا لدى الأسرة الحادية والعشرين بقيادة الفرعون بسوسنس الثاني (تيت خبرو رع سبت إن رع) في الفترة بين 945 959- قبل الميلاد، في ذلك

الوقت كان الجيش الفرعوني يتكون من أغلبية أمازيغية، حتى أنهم قاموا بتكوين جاليات عسكرية كانت القيادة فيها للأمازيغ دون سواهم، ووصل بعض العناصر منهم إلى مناصب مهمة في البلاط الملكي وإلى مراكز القيادة في الجيش خلال حكم الأسرة الفرعونية الذي دام مائة وثلاثين عامًا تقريبًا، عصفت خلالها الأحداث بمصرمن الداخل والخارج وعمَّ الفساد بالدولة، وأنهكت الضرائب كاهل الشعب مما أدى إلى تفكك البلاد خصوصًا منذ تولى سي آمون وبعد أن توفى وتولى ابنه بسوسنس الثاني (آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين) الحكم في مصر.

وفي هذه الفترة ظهر الزعيم الأمازيغي شِيشْنق وبدأ يعد خطة صامتة، لم يلجأ إلى خلع الفرعون، ولكنه انتظرحتى يموت حيث قام بالزواج من ابنته بعد أن قام بتوطيد مركزه العسكري والديني في الدولة، كان يدرك منذ البداية أنه ليحكم هذه البلاد عليه أن يكسب ود الشعب المصري؛ وذلك بالحفاظ على موروثاتهم ومعتقداتهم الدينية التي كانوا يعتزون بها، وساعده في سيطرته نفوذ عائلته الديني في البلاد، وبدأ معه عصر جديد في مصر، وحكم البلاد باسم الملك شيشنق الأول.

كان زين يستمع لها وهو تعتريه الدهشة الكبيرة من هذا التاريخ العريق لعائلته الذي لم يكن يعلم عنه شيئًا ثم تحدث مقاطعًا والدته: لماذا لم تحدثيني عن أجدادي من قبل؟! ثم ما علاقة كل هذا باللعنة التي ترددينها دائمًا، ما تروينه لي حدث منذ أكثر من ألفي سنة؟ لقد كان حتى من قبل الميلاد تقريبًا بألف سنة، هل تعلمين في أي زمن نحن؟ نحن الآن في عام ١٩٠٠، فعمّ تتحدثين يا غالية؟ وأي لعنة قد

تستمر طوال تلك القرون؟.

نظرت له غالية بغضب وقالت بحدة شديدة لا تعلم مصدرها: هل انتهيت؟ فلتصمت ولتستمع لما سأرويه عليك.

ثم ابتلعت ريقها وهي تتلعثم في الكلمات التي تود البوح بها وقالت: عائلتنا ليست كأي عائلة، فنحن مختلفون قليلاً.

اندهش زين من حديثها وقال: ماذا تقصدين؟

فأجابت بهدوء لتحاول أن تخفف وطأة الكلام على ولدها: لنا قوى خاصة، الأمازيغ يا ولدي ليسوا كباقي البشر، بالطبع ليس كل الأمازيغ، بل قبائل قليلة ونحن منهم.

زاد تعجب زين وقال: عن أي قوى تتحدثين؟ أنا لا أفهم حديثك، أرجوكِ يا أمي فسري لي، لقد كدت أجن.

فأجابته: الله يحميك يا ولدي من أي مكروه، قوانا يا ولدي تختلف عبر الأزمنة ومن جيل لجيل ومن شخص لآخر، القبيلة كلها كانت مشهورة بالسحر، والحديث مع الأرواح، وقوى أخرى مختلفة، وأنا على يقين أنك استشعرت في نفسك تلك القوى، ولكنك لم تعرها اهتمامًا.

ذُهل زين من كلمات والدته وقال: أتعنين أني أمتلك قوى مثل أجدادي؟

فأجابت عليه بإيماءة من رأسها وقالت: نعم يا ولدي، ولكنك لست مولودًا بها، لقد وهبتك إياها، يوم مولدك لأني كنت على يقين أني آخر سلسال ممن يملكون تلك القوى، وبموتي سينتهي معي كل أمل في

كسراللعنة، فأردت أن أمنحك إياها لتستطيع تنفيذ ما كُتب علينا.

دعني فقط أروي لك ماذا فعل جدك الملك شِيشْنق فما حدث بعد ذلك دمر كل شيء، جدك الأكبر شِيشْنق بعد زواجه من ابنة الملك، وقع في حب امرأة أمازيغية تُدعى تيرا وتزوجها سرًا، وأنجب منها دون علم زوجته الملكة حور، كان يعشقها، ويعشق ولده، ولكن لم يستمرهذا الحب طويلاً، لقد وَشَى به قائد من الجيش إلى الزوجة الملكة، وعندما علمت جُنَّ جنونها وقامت بذبح الزوجة وولدها، كانت تعتقد أنها بهذا أنهت المشكلة، وعاقبت زوجها على خيانته وانتهى الأمر، فهي ابنة الملك وحفيدة الملوك الفراعنة، كانت ترى نفسها فوق الجميع، وأن شِيشْنق لن يجرؤ على محاسبتها فمهما حدث سيظل الجندي الأمازيغي، الذي أعطته الشرف بزواجه منها، وجعلته يتقلد الحكم بعد والدها، ولكنها لم تكن تتوقع ما حدث بعد ذلك.

الفصل الثاني

صمتت غالية وشرد ذهنها قليلاً، فربَّت زين على كتفها وقال: ماذا يا أمي؟ لِمَ الصمت؟.

نظرت له بشرود وعقلها يحدثها بالكثير، ثم لمعت عيناها بفكرة وعزمت على تنفيذها: اغفر لي يا ولدي ما سأفعله الآن، ولكن لا مفر، لقد منعتُ قدراتك من الظهور طوال تلك السنين الماضية، بالرغم من أنها بحاجة لتدريب، أنا أعلم أنك غير مستعد، ولكن يجب أن أفعل هذا، لقد أدركت الآن أني أخطأت في حقك؛ يبدو أني كنت خائفة عليك بشدة فاعتقدت أني بعدم إخبارك قد أؤخر المكتوب.

ثم أخرجت من ملابسها لفافة كبيرة، وقامت بفتحها ليظهر بداخلها كتاب كبير، لم يرَ زين مثله من قبل، كان خارجه من النحاس، مغلق بمتاريس على شكل أفاعٍ صغيرة، ملتفة بطريقة عجيبة على الكتاب كأنها تحميه، ثم سمع والدته تتمتم بكلمات غريبة ليست مفهومة، وما إن انتهت حتى وجد الأفاعي تتحرك والكتاب يُفتح.

كتابٌ مختلف، تعجز عن تصديق أنه من صنع بشر مثلنا، أوراقه قديمةٌ، تبدو كورق البردي ولكن أقوى، مكتوب بلغة لم تمر عليه من قبل.

شعر زين بالرهبة، وخاصةً عندما وجد والدته تنظر إليه وتقول وهي

تضع يدًا على الكتاب ويدًا على رأسه: اغفر لي.

لم يمهله الوقت معرفة عما تتحدث؟ فسرعان ما وجد نفسه في مكان آخر ولَمْ تعد والدته بجواره، شعر زين بالرعب الشديد، فقد كان يندفع بسرعة كبيرة كأنه يطير، محاطًا بفراغ كبير تتشابك الألوان فيه، كأنه بداخل قوْس قُزَح، ثم ما لبث أن وجد أرواحًا كثيرة تمر به الواحدة تلو الأخرى، وكل رُوح بمكان مختلف ولغة مختلفة، كان الرعب والخوف يُلْجِمه، لم يستطع إصدار أي صوتٍ، شاهد الكثير وسمع الكثير، حتى انتهى به المطاف في بيت كبير يبدو كبيوت الملوك، حدَّق زين بالمكان وهو يكاد يفقد عقله، يتساءل بداخله عن هذا القصر، وكيف وصل إليه؟.

وما هي إلا لحظات ووجد امرأة جميلة تدخل إلى القاعة ومعها طفل صغير لم يتخط عامه الثالث.

كان زين يقف في منتصف القاعة، عندما دخلت المرأة وولدها فجأة، شعر لحظتها بالرعب الشديد، حتى أن قدميه لم تقوَ على السير، تَسمَّر كالتمثال من شدة الخوف، ولكن سرعان ما تنبه إلى أنه غير مرئي لهما وذلك عندما عبر الطفل من خلاله، وخَطَت المرأة تجاهه، عينيها في عينيه ولكن لم تره.

ظل في مكانه يشاهدهما سويًا، ومالبث سوى لحظات ورأي امرأة أخرى تقتحم البيت ومعها عدة رجال أشداء يظهر من هيئتهم أنهم الحرس الخاص بها، ويبدو من هيئتها أنها الملكة التي أخبرته أمه عنها، تنحّى

زين جانبًا، وأسند ظهره إلى الجدار حتى يشاهد ما هو قادم؟ وقف يتمنى من كل قلبه لو يستطيع التدخل وإيقاف ما سيحدث ولكنه يعلم أنه مستحيل.

دخلت الملكة إلى القاعة، وعندما شاهدتها تيرا زوجة شِيشْنق الثانية شعرت بالخوف الشديد وبحركة طبيعية من أم محبة لولدها، أمسكت يده بقوة ووارته خلف ظهرها، وكأنها بهذا تستطيع إخفاءه وحمايته.

رمقتها الملكة بنظرة مليئة بالغضب والاستهزاء الشديد وقالت والكبر والغرور يملآن صوتها: إذن أنتِ الجارية التي تعاشر زوجي الملك.

انتفضت تيرا ونبضت الدماء الأمازيغية في عروقها وقالت بتحدٍ وقوة المرأة الأمازيغية: بل أنا زوجته وأم ولده.

ضحكت حور بغلٍّ شديد وأجابتها: لا يوجد زوجة غيري، أما أنت مجرد جارية، أسحقها بقدمي وقتما أريد، ولن يستطيع أحد رَدْعي.

حدَّقت بها تيرا وبداخلها بدأ يتسرب الخوف، ولكن وبكل بأسٍ وقوةٍ قالت: لو جرؤتِ على فعل أي شيء لنا، فاعلمي أن شِيشْنق لن يرحمك.

عصفت الملكة بغضبٍ شديدٍ قائلة: لن يجرؤ على فعل شيء، أنا حور حفيدة أمون رع سليلة الفراعنة، لن يجرؤ هذا البربري على أي شيء.

ثم أشارت إلى الحراس: أحضروا لي الصبي.

صرخت تيرا وهي تحاول حماية ولدها من أيدى الحراس : ماذا تريدين من ولدي؟ اتركيه، لا شأن لك به، ثأرك معي، أما هو فلا ذنب له، إذا

أردت الانتقام فها أنا ذا أمامك.

ضحكت حور وهي ترى محاولاتها الواهنة إلى أن طرحها الحارس أرضًا وجذب الصبى، وبكل قوة وحقد نبشت أظافرها بذراعه، وبلا أدنى شفقة قالت: وماذا تعتقدين أني فاعلة؟ لن يشفي غليلي قتلك فقط، بل يجب أن أرى الذل والقهر في عينيك وأنتِ تشاهدين ولدك هكذا؛ حتى يتعلم أمثالك أن لا مكان لهم بين الملوك، ثم في لمح البصر استلت خنجرًا من جراب الحارس الذي بجوارها ونحرت عنق الطفل الصغير، كما تُنْحر الشاة.

عندما شاهدها زين وهي تعتصر ذراع الصبي بلا رحمة وسط صرخاته التي تفطر القلوب، هرع نحوهما وبحركة لا إرادية حاول أن يجذب الطفل من يدها لينقذه، ولكن كل محاولاته باءت بالفشل، فيديه لا تقبض على شيء سوى الفراغ.

تجمد عاجزًا من الصدمة وهو يرى الطفل يصارع الموت أمامه، وجسده ينتفض بشدة، ثم انفجر صارخًا بشدة من هَوْل المنظر، وبدون وعي حاول الانتقام من الملكة بتسديد عدة صفعات على وجهها، ولكن دون جدوى؛ فيديه كانت تتصارع مع الهواء.

رأت الأم طفلها وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة وجسده ينتفض بشدة، فهرعت إليه صارخة والدموع تنهمر على وجنتيها، تبكي عليه بكاءًا مريرًا: شِيشْنق، أغثني، ولدي، صغيري (أوبوت).

ثم انهار جسدها على الأرض بجوار طفلها تحتضنه وتحاول أن تضع

يدها على رقبته لتوقف الدماء، في محاولة بائسة لأم مكلومة تعلم أنه ميت لا محالة، ظلت هكذا وهي تصرخ بألم شديد على صغيرها، وكلما تعلو صرخاتها، تعلو ضحكات حور، ثم ما لبثت وجذبتها من شعرها، ورفعت رأسها لتتلاقى الأعين، وترى الملكة النظرة التي تنتظرها: الآن أُنْهِي انتقامي، لتعيد الكرة وتضع الخنجر على حنجرتها لتقوم بنحرها كما فعلت مع ولدها، وسط استسلام تام من تيرا، وابتسامة ضعيفة على شفتيها فهي الآن لا تريد سوى أن تكون مع ولدها حتى لو في العالم الآخر، عالم الموتى.

وقفت الملكة وهي تشعر بنشوة كبيرة بعد أن قضت على غريمتها ولَم يتبق سوى أن ترى وجه شِيشْنق عندما يراهما، ليكتمل انتقامها؛ لذا أمرت الحراس بنقل الجثث إلى الفراش بعد التأكد من فصل الرأس تمامًا عن الجسد، وإزالة الفوضى التي حلت بالمكان، هي تريده عندما يأتي أن يظن أنهما نائمان في الفراش، لا تريد لقطرة دم واحدة أن تفسد مخططها.

مر الوقت على الجميع وزين يقف موقف المتفرج من كل هذا، وبداخله يتمنى لو يستطيع أن يقتل تلك المرأة ألف مرة على تلك الفعلة الشنعاء، أما الملكة وحاشيتها فكانوا متوارين عن الأنظار في انتظار قدوم شِيشْنق.

وبعد بُرْهة من الوقت ليست قليلة وصل الملك إلى البيت وبدأ يهتف مناديًا زوجته وولده، ولكن لا مجيب، فتوجه إلى مخدعهما، ليجدهما على الفراش، فصاح بهما بصوتٍ مرتفع: ما هذا؟!! أذهبتم إلى النوم

مبكرًا هكذا قبل أن أراكم؟، هيًّا انهضا.

ثم توجه صَوْب ولده وحاول إيقاظه، فهو يسرق اللحظات ليكون بقربه، ولكن ولده لم يستيقظ، قام بهزه لينهض ولكن عوضًا عن هذا وجد رأسه تتدحرج من على الوسادة، ليلتقطها قبل أن تسقط على الأرض، وهو في حالة من الذهول الشديد وعدم التصديق لما يراه، ظل شِيشْنق ممسكًا برأس ولده يحدق به وهو يُمني نفسه أن هذا مجرد تمثال أتقن النحات في صنعه، ثم بيد مرتعشة أزاح الغطاء عن جسدهما، وشاهد الفاجعة، أجسادهما الممددة ورأساهما المفصولتين، والدماء تلوث الفراش، لم يعد هناك أدنى شك، هذا جسد محبوبته، وهذا هو ولده، الذي يمثل له النبض بأوردته.

لم يقوَ شِيشْنق على الاحتمال، لقد أرتعش جسده بأكمله من فداحة المنظر، واعتمل بداخل صدره نيران لن تستطيع أي قوة إخمادها، نيران بإمكانها إحراق مدينة بأكملها، ثم أطلق صرخة قوية جعلت جدران البيت تهتز وكأنها ستسقط من قوة الصوت؛ فألقى الرعب في قلوب الجميع بما فيهم الملكة التي كانت تشاهد ما يحدث، لقد كان صراخ أسد جريح، أسد مكلوم ولكنه ليس مهزوم، صراخ يبث الرعب والفزع، وينبئ بما هو قادم، ولكن كبرياء الملكة وغرورها، احتلا الصدارة على خوفها، ولَمْ تردعها حالته أو تثنيها من أن تتم انتقامها المزعوم.

خرجت حور من مخبئها تسير بتفاخر وقالت بصوت يملأه الحقد والقسوة: ما رأيك في هديتي؟ هل أعجبتك؟، هذا مجرد إنذار صغير

حتى تعلم مقدار غضبي، أما لو تكررت فعلتك، ستكون نهايتك أنت.

استدار شِيشْنق والشرر يتطاير من عينيه، كانت عيناه مخيفتين، فكل من ينظر إليهما، يكاد يقسم أن الشيطان يسكن بداخلهما، كأنهما تحولتا إلى أعين دموية، مما جعل الخوف يدب في أوصال حور وارتعدت من هيئته، ولكنها حاولت التماسك، إلى أن وجدت غَيْمة سوداء تتجمع فوق رأسه كأنها تلازمه، ثم شاهدته وهو يرفع يده لأعلى وينظر إليها ويهدر بصوتٍ قوي يرعب النفوس، وهنا بدأ كل شيء يتحطم حولها، كل الأواني، والمرايا تحولت إلى شظايا تتطاير في كل اتجاه، والأثاث يرتفع ويهبط، الفوضى تعم كل الأرجاء، كأن كل شيء أصابه مَس من الجنون.

تابعت حور ما يحدث بأعين ونفْس مرعوبة لا تعلم ما هذا؟ والسؤال الذي ألح على ذهنها باستماته هو..ماذا بعد؟؟؟، اختنقت الكلمات في حلقها، ولَمْ تعد تستطيع أن تخفي رعبها فقالت: م... ما.... ماذا؟، ماذا أنت بفاعل؟،... ما الذي يحدث؟، من أنت؟.

نظر لها شِيشْنق وقد أصبحت عيناه بلون النار وقال بصوت عميق مخيف: أنا من سيذيقك كل أنواع العذاب، من سيجعلك تتمنين الموت كل دقيقة، أنا شِيشْنق حفيد مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح، أقوى من أنجبته الأرض، أنا من ستصيبه اللعنة في سبيل انتقامه.

الفصل الثالث

أحاسيس متضاربة تغمره الآن وتعيق عقله عن التفكير، صدمات متتالية، تاريخ من قديم الزمن لعائلة لم يعلم عنها شيئًا، جريمة بشعة يشاهدها ولا يستطيع منعها، ولعنة قديمة تقع على عاتقه هو وحده عليه مَحْوها، حاول زين جاهدًا أن يتقبل كل هذا، ولكن صدمته كانت شديدة من هوْل ما رأى وسمع، فَلَو رُوِى له قصة من قصص الأساطير تشبه ما يشاهده الآن، لم يكن ليصدق، أو يقتنع بها، ولكن ها هو الآن يري بأم عينه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ظل هكذا حتى أفاق من شروده وتنبه لكلمات شِيشْنق فأيقن أن تلك هي اللحظة الفارقة التي ذكرتها والدته، علم أن ما سيحدث الآن، سيفتح أبواب الجحيم معه، وللمرة الثانية هرع إلى شِيشْنق في محاولة يائسة منه، «ربما يحدث فارقًا في تلك الأحداث الجنونية التي يمر بها ولا يدري كيف السبيل للحول دونها»، وشرع في الصراخ بجوار أذن شِيشْنق: لا تقدم على هذا... لا تفعل.... لا تجلب الدمار لنا.

ولكن تلك المرة كانت مختلفة، وحدث ما لم يتوقعه، دار شِيشْنق على عقبيه وعيناه معلقه عليه، لوهْلة أعتقد أنه يراه فارتعدت فرائسه، ولكنه تنفس الصعداء عندما وجد عينيه تائهتين يمينًا ويسارًا كأنه يبحث عن شيء، وتيقن أنه يعلم بوجوده،ولكنه لا يستطيع رؤيته، عندها صرخ

شِيشْنق بصوت مرعب مخيف: من أنت؟ من أنت؟، إنني أشعر بوجودك، أستشعر أنفاسك حولي، ولكني لا أراك، من أنت؟ ما أنت بشبحٍ، ولا ميتٍ، بل أنت لست من هذا الزمن، من أين أتيت؟ إني أشعر بهالتك حولي.

تسمَّر زين في مكانه ولَمْ يقوَ على الحراك، طعنات من الخوف أصابته، أحاطت به، وسَرَت في كل أوصال جسده ليتجمد، ولا يستطيع الفرار.

علم شيشنق بوجود زين، وشعر بخوفه فهدر بصوت لا يشبهه أصوات البشر، بل يقارب صوت وحشٍ كاسرٍ

إذا كنت قد أتيت لتثنيني عما سأفعل، فلن تستطيع منعي، عد من حيث أتيت، واعلم أني لن أتراجع عن انتقامي.

ثم رفع يده إلى السماء ونظر لأعلى وقال: أيها الأجداد لن أرحمها حتى لو فيها هلاكنا، حتى لو ألقيتم عليَّ مائة لعنة، لن أتراجع مهما حدث.

ثم أعاد بصره إلى الملكة وقال: والآن لنبدأ حفلنا معًا.

برقت عين حور برعب شديد وهي تتراجع للخلف وتقول: أنت شيطان، أنت غير آدمي، أنت شيطان، ثم هتفت للحاشية وقالت: أيها الحراس، اقبضوا عليه.

خرج الحراس من مخبئهم مدججين بالأسلحة، والتفوا ليصنعوا دائرة حول الملكة لحمايتها.

فما كان من شِيشْنق سوى أن أشار بيده بطريقة دائرية، جعلت أجسادهم

تعلو وتهبط وتتخبط في الجدران، كأنهم دُمَى يتحكم بها، وباليد الأخرى رفع الملكة إلى أعلى ثم تركها لتهوي على الأرض بقوة شديدة، وهي تصرخ من الألم، وبدمٍ بارد وصوتٍ يشبه فحيح الأفاعي قال: من يرغب منكم بالموت فليواجهني؟، أما من يرغب في الحياة فليرحل الآن، ولكن حذارٍ أن يتكلم أحد منكم فيما حدث هنا.

تبادل الحراس النظرات كلاً ينتظر إشارةً من الآخر ثم شرعوا في الهروب، يتخبطون ببعضهم البعض كقطعان الغزلان التى تهرب ركضًا من هجوم الأسود.

دارت حور ببصرها فيما حولها فلَم تجد أحدًا، توارى الجميع عنها في لمحه بصر، أين الجنود؟ أين من أقسموا على حمايتها بحياتهم وحياة ذويهم؟؟ الآن هي بمفردها تواجه هذا الطوفان من الغضب، ولن ينجدها منه اليوم أحد، الخوف تَملَّكها تمامًا وقضى على آخر ذرة غرور أو كبر بقلبها، فلم تجد بُدًا من أن تنقذ حياتها، فهرعت تلقي بنفسها على قدميه تقبلهما وهي تبكي وتنوح قائله: اغفر لي، أرجوك، اغفر لي، لم أكن في كامل وعيي ، لقد تملكتني الغيرة، اغفر لي أرجوك وارحمني، سأفعل لك كل ما تريد، فقط، ابقِ على حياتي.

وقف شِيشْنق ينظر إليها من عليائه بكرهٍ شديد ثم رفعها؛ لتكون بمواجهته وقال بهدوءٍ أشد: ومن قال لكِ إنيَ سأقتلك؟.

فانفرجت أساريرها: سأحيا لك خادمة مدى الحياة.

فأشارلها بسبابته أن تصمت، وبصوتٍ يقطر توحشًا وهمجية قال:

سأجعلك تتمنين الموت في اليوم الواحد مائة مرة، ولن تجديه.

ثم جذبها من ذراعها بقوة حتى كاد يمزقه وألقاها على الأرض في المخدع الذي به جثث قتيليْها، وتناول كأسين من الفضة كانا ملقيان أمامه، متجهًا صَوْب زوجته وولده ليملأ الكأسين بدمائهما، وسط دهشة حور التي كانت تشاهد ما يحدث وهي ترتعد من الخوف، خوف ألْجم حواسها جميعًا، فقط كل ما استطاعت فعله هو الالتصاق بالجدار لتحتمي به كأنه منقذها، تنتظر عقابها جرَّاء فعلتها.

أنهى شِيشْنق ملء الكأسين، ثم ترك أحدهما وبدأ يلقي بعض التعويذات على الآخر، وعندما أنهى ما يفعله، همَّ بالتوجه إلى حور، ولكنه وجد ما يعيقه ويقيد حركته.

كان زين يراقب ما يحدث في صمت، وهو لا يعي ما الذي سيفعله شِيشْنق بالدماء التي بالكأس؟ ثم فجأة ظهرت أمامه أرواحًا كثيرة تلتف حول شِيشْنق، تحاول إعاقته، وإقناعه بالعدول عما ينوي فعله.

ولكنه لم يهدأ أو يستمع لهم بل زأر زئيرًا مخيفًا جعل الأرواح جميعها تختفي كأنها كانت مجرد غيوم من الدخان، وجاءت رياح شديدة جعلتها تتبدد وتتلاشي ثم استمر يردد: سأفعلها، لن أرجع عن انتقامي، لقد لُعنت يوم ذهبت حبيبتي وولدي، ولا يوجد لعنة أقوى من ذلك، بل وسأفعل ما جعلتموه محظورًا في الصحف، سأفعلها، وحينها لن يستطيع أحد إيقافي، وسأبقى للأبد.

تقدم شِيشْنق صَوْب حور بعد أن تخلص من الأرواح المحاربة، ومد يده

إليها بالكأس آمرًا إياها: هيَّا تناولي هذا.

نظرت حور للكأس وبرغم خوْفها منه ولكن شعور الاشمئزاز كان أقوى فلم تستطع الانصياع لأوامره وصرخت قائلة: ماذا؟، ماذا تقول؟ كيف أفعل ذلك؟.

فرمقها شِيشْنق بنظرة غاضبة وكشف عن أنيابه وزمجر قائلاً: افعلي وإلا نحرت عنقك، بسكين غير حاد، وتركتك تموتين ببطء شديد.

انتفضت حور من وقْع كلماته عليها وابتلعت ريقها رعبًا ورهبه مما سيحدث، ثم تناولت الكأس من يده وحاولت أن تضعه على فمها، ولكن كلما اقترب من شفتيها، شعرت بالغثيان وأبعدته سريعًا.

لم يمهلها شِيشْنق طويلاً، فقبض على يدها التي بها الكأس ورفعه على فمها وجعلها تتجرعه بالإكراه، ولَم يتركها حتى تأكد أنها تجرعته بالكامل حتى آخر قطرة.

ثم ترك الكأس من يديه وقال وهو يتجه صوْب الباب مغادرًا: والآن سأتركك لهما قليلاً حتى أعود، أرجو أن تستمتعي بالصحبة.

تلفتت حولها وفي غمرة بكائها تساءلت: عمن تتحدث؟، فأجابها وهو يغلق الأبواب عليها ومعه الكأس الآخر: ستكتشفين بنفسك الآن.

ظل زين واقفًا يراقب ما يحدث، ولا يعلم ماذا عليه أن يفعل هل ينتظر؟ أم يتبعه، وبالأخير قرر الانتظار؛ ليرى عمن يتحدث شِيشْنق؟ وما هي سوى دقائق قليلة وبدأ يشعر ببرودة شديدة تزحف على جسده،

أنفاسه أصبحت باردة، بخار يخرج من فمه من شدة الصقيع، الغرفة كلها تحولت إلي كتلة ثلج باردة، وبصعوبة شديدة التفتت يبحث عن حور فوجدها تنكمش على نفسها في الأرض وترتجف أيضًا من شدة البرد، لم يستطع زين تفسير هذا الشعور، أو تلك البرودة التي اجتاحت المكان إلا عندما شاهدهما.

كانت حور تجلس ملتصقة بالجدار، تضم قدميها إلى صدرها، تحاول أن تبعث في جسدها الدفء، ولكنها انتبهت لوجود حركة مُريبة تحدث تحت الغطاء الذي على الفراش أمامها، ثم بدأ الغطاء يرتفع تدريجياً حتى سقط أرضًا، كانت عيناها ترفض تصديق هذا، ظلت تُحدِّق لعلها تكتشف أنها واهمة ولكن لم يعد هناك مجالاً للشك، الجثتان تحركتا بالفعل والآن يتجها نحوها، لا تعرف كيف استطاعت أن تصرخ؟ لقد كانت خائفة حتى من أن تتنفس ولكن مع قربهما منها، تملكها الهلع تمامًا وصارت تصرخ بهستيريا شديدة وهي تُحدِّق في تيرا وولدها اللذان باتا على بعد خطوة واحدة منها، لم تكن أرجلهما ملامسة للأرض، بل بدا كأنهما يطفوان فوقها، رأساهما موضوعة على أجسادهما والدماء تتقطر منهما.

كانت هيئتهما مختلفة تمامًا و.... مخيفة، عيونهما حمراء، كأعين الشيطان، ووجهاهما مخيفان، وأسنانهما بارزة من الفم، كأسنان الذئاب، حادة مدببة بشكل يبث الرعب في القلوب.

حاولت حور أن تنجو بنفسها، فهرعت إلى الباب تحاول فتحه، ولكنه

كان موصدًا من الخارج، ظلت تضربه بيديها وقدميها في محاولة بائسة، لعل أحدًا يستجيب لها وينقذها من براثن الموت، ولكن لا فائدة، إلى أن وجدت يدًا توضع على كتفها، فقامت بالتحرك ببطء شديد وهي ترتجف مذعورة من هوْل الموقف، لتجد نفسها وجهًا لوجه أمام غريمتها القتيلة تيرا وولدها.

ظلت تهذي وهي تحاول الابتعاد عنهما للخلف حتى أصبحت ملاصقة للباب، وكلما ابتعدت، كلما اقتربت تيرا، وعندما لم يعد هناك مجال للفرار، ألصقت جسدها ووجهها بالباب وهي مغمضة العين، تبكي في صمت تحاول أن لا تراهما لعلهما يختفيان.

ولكن هيْهات اقترب جسد تيرا من حور، حتى أصبح ملاصقًا لها، ثم همست في أذنها قائلة: الآن سترين الجحيم على الأرض، وبمجرد سماع حور تلك الكلمات وشعورها بأنفاس تيرا الملتهبة على وجنتها، لم تعد تقوى على التحمل أكثر، فانهارت وسقطت مغشيًا عليها.

كان زين يقف وقد تملكه الخوف الشديد، وبمجرد سقوط الملكة حور، لم يستطيع أن يظل ساكنًا، فاقترب ببطء من جسد تيرا، وقبل أن يحاول ملامسته، التفتت إليه في نظرة تحذيرية ووجهها يملأه الغضب والكره الشديد.

اقشعر بدنه لحظتها ولكن لا مجال للعدول عن رأيه فتحدث قائلاً: لا تفعلي هذا، لا تتركي تلك التعويذة تسيطر عليك، اطرديها، من أجل ولدك.

حدَجْته تيرا بنظرة تكاد تفترسه فيها، وبغضب شديد وعيون تلتهب باللون الأحمر الناري صرخت بصوتٍ مرعب: ولدي قُتل، غُدر به، يجب أن أنتقم، يجب أن أنتقم.

لم يتراجع زين وأعاد كلماته: لا تفعلي، تذكري أنكِ أُم، تذكري ولدك، لا تجعليه ملعونًا بسبب انتقامك، احميه، كوني له أمًا حتى بعد موتك واحميه من أن تُلعن روحه، لا تفعلي، لن تجدي الراحة بعدها.

لم تتغير ملامح وجه تيرا ولكن ما تغير ملامح وجه (أوبوت) الطفل الصغير، فمهما بلغ السحر، أو قوة أي تعويذة، البراءة تهزم أي شيء.

مد أوبوت يده الصغيرة وجذب يد أمه بتعلق شديد: أمي.

التفتت له تيرا سريعًا لتجده ينظر لها كما كان يفعل دائمًا، بحب، وتشبث بها وبثيابها وقال: أمي، إني خائف، لا تتركيني، ابقي معي دائمًا، إني أحبك أمي.

تأملته تيرا بولع شديد وحزن وتحركت بداخلها المشاعر الأدمية وقبلها مشاعر الأمومة فهربت دمعة من عينها، ونزلت فأضاءت وجهها، كأنها غسلته من الحقد والمرارة التي سكنت به؛ لتعيد الهدوء والسكينة مرة أخرى لصاحبة هذا الجسد.

ركعت تيرا على الأرض تحتضن ولدها وهي تطمئنه: لن أتركك ولدي، سأبقى معك للأبد، لن أتركك، ثم قالت لزين وهي محتضنة ولدها: لا أريد هذه النهاية له، قُم بإحراق أجسادنا، حتى لا يعاود شِيشْنق فعلته، قل له تيرا تريد أن تنعم بالحياة الأبدية مع ولدها، لا تريد أن تسير معه

ملعونة في الأرض، قل له أن يرجع عما ينوي؛ حتى نجتمع سويًا في النهاية.

كانت تيرا تتحدث وهي تجلس على الأرض تحتضن ابنها، ثم التفتت لزين وقالت: قل له معشوقتك يكفيها أنها حُرمت منك في الدنيا، فلا تحرمها منك في الحياة الأخرى.

أجابها زين: سأحاول، ولكني لا أستطيع حرقكما، روحي هنا فقط، جسدي لا وجود له، والملكة لا تشعر بي، لا أحد يراني سواكِ أنتِ وولدك.

فابتسمت تيرا وهي تتحرك عائدة مرة أخرى للفراش وقالت: استخدم قواك، ستدلك على الطريقة الصحيحة.

ثم تمددت على الفراش مرة أخرى وهي تضم ولدها، كأي أم يغفو ابنها بين أحضانها، وسكنت أجسادهما، ولَم يعد بها أي حركة، حتى أن رأسيهما فُصلت مرة أخرى.

وقف زين لا يعلم ماذا يفعل؟ كيف يقوم بإحراقهما وهو لا يستطيع أن يمسك أي شيء بيده؟

هل سيستطيع؟ هل سينجح في هذا قبل عودة شِيشْنق؟

الفصل الرابع

«استخدم قواك»، ظلت تلك الكلمات تدور في ذهنه، لتزيده حيرة وقلق وارتباك، أي قوى التي تتحدث عنها؟ فهو لم يكن يعلم عنها أي شيء قبل اليوم، لا يعلم ماهيتها، ولا كيفية استخدامها، فماذا سيفعل؟ وكيف السبيل للنجاة من هذا المأزق؟.

كاد زين أن يُجَن من شدة التفكير، حتى أنه صرخ بقوة قائلاً: ماذا فعلتِ بي يا أمي؟، أي جحيم ألقيتِ ولدك إليه؟.

«اغفر لي يا ولدي» انتفض زين من الفزع عند سماعه هذا الصوت الذي يعرفه جيدًا، نعم يبدو بعيدًا كصدى الصوت، ولكنه في ذات الوقت واضح كوضوح الشمس، أنه هو صوت والدته غالية.

انتابته حالة من التخبط شعر بأنه قد فقد عقله وأنه أصبح يتوهم صوتها، فعاود الصراخ مرة أخرى: لقد أصابني الجنون، أصبحت أتوهم صوتك، لم أعد أعلم ما الحقيقة؟،وما الخيال؟.

ليعاود الصوت الظهور مرة أخرى: لا تحزن يا ولدي، فأنا هنا بجوارك، أنت لا تتوهم، فقط ثق بقدراتك.

صمت زين قليلاً حتى يستطيع السيطرة على انفعالاته ثم أجاب والدته وهو يتساءل: أي قدرات!!، عما تتحدثون جميعًا؟، ترددون نفس الكلمات

لتفقدوني عقلي، كيف استخدم شيء لا أعرف ما طبيعته؟.

فيجيبه صوت والدته الذي يبدو كالنسمات الحانية القادمة من السماء لتهب على قلبه فتبث فيه الطمأنينة وظلت تردد: عُد بذاكرتك، تذكر، ما كنت تفعله في طفولتك؟، تذكر.

صمت زين وهو يردد في ذهنه كلمات والدته: ما كنت أفعله في طفولتي؟، ماذا كنت أفعل؟ ماذا كنت أفعل؟ أنا لا أتذكر أي شيء.

إحساس بالضياع تملَّكه، شعر أنه قد اُقْتِلع من جذوره وأن كل حياته السابقة كانت مجرد خدعة كبيرة، لم يعد يعلم من هو؟ وما الحقيقي؟ وما هو المزيف؟، فجأة سَرَت في جسده قُشعريرة من أثر لمسة حانية شعر بها على جسده لتنفذ إلى روحه وتطمئنه، ثم سمع همسًا بالقرب من أذنه، حاول الانصات بتركيزٍ شديدٍ حتى يميز ما يقال، فسمع صوتها تقول: لقد نسيت أنك تستطيع تحريك الأشياء بعينيك، نسيت أنك تستطيع السيطرة على من حولك فقط بنظرة، ثق بقدراتك، ثق بنفسك، وستجد الحل.

«ثق بقدراتك، ثق بقدراتك»، ما أيسر الكلام يا غالية، ولكن كيفية تحقيقه هي المعضلة؟ استمر زين يحدث نفسه ويردد نفس الكلمات باستمرار، فهو الآن يشعر بأنه على حافة الهاوية، الجميع يريد منه أن يستعيد ما طمسته ذاكرته منذ زمنٍ بعيد، يريدونه أن يستخدم قوى لا يعلمها، حتى أمه التي حاولت في السابق بكل الطرق أن تكبتها وتمنع ظهورها حتى تناسى وجودها تمامًا، تريده أن يستعيدها الآن، أي

جنون هذا!، ولكن هل يملك بديل؟، يجب عليه المحاولة، يجب أن يثق بكلماتها، يجب أن يستعيد تلك القوى المزعومة.

ألقى زين نظرة على الملكة حور الملقاة على الأرض فاقدة للوعي، ونظرة أخرى على تيرا وولدها، ثم أخذ نفسًا عميقًا وأغمض عينيه وتنفس بهدوء شديد؛ حتى يطرد أي أفكار سلبية من رأسه، أو أي خوف قد يسيطر عليه ويعيقه عن تحقيق المطلوب، حاول الاسترخاء قليلاً من كم التوتر الهائل الذي حَلَّ به؛ ليركز فقط على استخدام قوته، حتى ينجح في محاولاته.

لحظات قليلة وبدأ يسيطر على قلقه ومشاعره المضطربة، فهو لا يريد أن يهدر الوقت المتاح له، يجب عليه الإسراع باكتشاف قدرته حتى ينهي تلك المهمة.

وبالفعل بدأ يجاهد بتنفيذ ما يصر الجميع على إقناعه به، عمل على التركيز الشديد حتى يتمكن من تحريك بعض الأشياء الصغيرة كبداية، ولكن محاولاته الأولى كلها باءت بالفشل، ولكن ذلك لم يرْدَعه ولم يمنح اليأس فرصة لطرق بابه بعد، استمر يعيد المحاولة أكثر من مرة، وعندما فشل سكن قليلاً حاول بشتى الطرق إسكات كل الأصوات التي تقتحم عقله، عزل نفسه تمامًا عن كل ما يحيط به وكأن العالم خلا من الجميع ما عدا هو والكأس الذي أمامه، وبدأ يترجم رغباته وهو ينظر له، لم يصدق في البداية ما رآه، هل تحرك الكأس بالفعل؟ حاول التركيز بصورة أقوى وعاود المحاولة، وعمل على تصفية ذهنه تمامًا، لم يهتم إلا بما يريد، وهو تحريك تلك الكأس، وبالفعل نجح في ذلك كان الأمر

يبدو وكأن العقل يرسل إشارات تترجمها العين إلى أوامر يجب تنفيذها.

ارتياح كبير انتابه بعد معرفته كيفية التعامل مع هذه القدرة التي يمتلكها، وبدأ يسيطر أكثر على الكأس ليرفعه في الهواء، ويحركه يمينًا ويسارًا، ثم عاود زين التجربة أكثر من مرة على أشياء مختلفة أكبر حجمًا ونجح في كل مرة.

«إذن حان وقت العمل «هكذا حدث نفسه، واتجه صوْب الملكة حور التي مازالت مُلقاة على الأرض فاقدة الوعي وبدأ يحاول تحريكها، شعر في البداية بالاضطراب ولكن سرعان ما تماسك وأصبح في وضع التنفيذ، وها هو الآن يرفعها في الهواء ويحركها صوْب المقعد ثم يضعها عليه».

بدأ الأمل والحماس لقدراته الجديدة التي يكتشفها يداعب قلبه، ويتملكه شعور أنه قادرعلى تنفيذ ما يريد، وفِي تلك اللحظة سمع صوتًا قادمًا من الخارج، أنه شِيشْنق لقد عاد وهو مازال عاجزًا عن التصرف، أغمض زين عينيه وبدأ يتخبط في الكثير من الأفكار التي جالت بذهنه، ولكن سرعان ما لمعت عيناه عندما وجد ضالته، فاتجه مسرعًا صوْب المنضدة التي كان عليها مِحْبرة وريشة، حدَّق بالريشة قليلاً ثم شرع في تنفيذ خطته، وببساطة شديدة سيطرعليها وراح يحركها في الهواء ويغمرها في الدماء التي مازالت سائلة على الأرض ولَم تجف، ثم يرفعها للجدار لينقش بها كلمات عليه، رسالة باللغة الأمازيغية من تيرا لشِيشْنق، تفاجأ بنفسه عندما اكتشف أنه يستطيع أن يكتب بلغة لم يستخدمها من قبل ولا يعرف كيف يجيدها؟!! ولكنه وجد نفسه بسهولة يخط بها كلماته (حبيبي لا نريد تلك اللعنة، نحن فقط نريدك أنت، أنا وولدك

في انتظارك لنحيا معًا سلامًا أبديًا، توقف أرجوك حتى نجتمع معًا سويًا في العالم الآخر، لا تُقْدم على الانتقام، قم بحرق أجسادنا، لا تدنسها، عد إلينا، انضم لنا في الحياة الأخرى، ارجع عن انتقامك وستجد الطريق إلينا، فكر جيدًا وستجد الوسيلة، ولكن لا تتركنا نُلعن) كتب زين تلك الكلمات، وانتظر دخول شِيشْنق، ورد فعله عندما يراها.

وبالفعل عاد شِيشْنق من الخارج وبمجرد دخوله إلي البيت، تَسمَّر في مكانه لم يقو على الحركة، لقد داهمته الذكريات وحاصرته في كل بقعة من المنزل حتى أنه رأى ولده وهو يلهو أمامه وحبيبته تداعبه، توهم أنه يراهما بالفعل، وأنهما ينتظران عودته، خانته ذاكرته وبدأ يظن أن كل ما سبق لم يكن سوى كابوس، فشعر بالسعادة وهرع صوْبهما يحتضنهما ويسكن الروح مما ألمَّ بها، ويالصدمته أنهما سراب، ليس لهما وجود سوى بمخيلته، لقد ذهبا بالفعل، غادرا دنياه، ليتركاه وحيدًا محترق القلب والفؤاد لا يملك سوى الغضب فقط بداخله، والذي بمقدوره إحراق الأرض كلها ومن عليها.

عاد الواقع يحاصره ويبدد أوهامه، ليذكر نفسه أنه لم يعد هناك شيء متبقي له سوى الانتقام، وبخطوات غاضبة سريعة توجه نحو المَخْدع، وجال بنظره ليجد الجسدين على الفراش ولكن هناك اختلاف بهما، رقَّ قلبه عندما وجد زوجته تحتضن صغيرهما، وفِي الجهة الأخرى حور ملقاة على المقعد فاقدة للوعي، ثم لفت انتباهه الكلمات المكتوبة بالدماء على الجدار.

وقف يقرأ الكلمات بعينيه التي خانته وسال دمعها، واقترب من جسد

زوجته وولده، ليرقد بجوارهما كما لو كان يومًا طبيعيًا وهو يحتضنهما ويبكي بمرارة وحسرة كبيرة، ثم همس لهما قائلاً: لا أستطيع، لا أستطيع أن أغفر، لا أستطيع، كيف السبيل للعيش بدونكما؟، كيف أتقبل حقيقة موتكما؟، النار التي بقلبي بإمكانها إحراق العالم بأجمعه، ولكن لاأستطيع حرقكما، لازلت غير مستعدًا لخسارتكما، أريدكما بجواري.

وبينما هو هكذا سمع صوت همهمه صادرة من حور التي بدأت تستعيد وعيها.

كان زين يراقب ما يحدث، وعندما وجد حور تتحرك، وجه أنظاره إلى شِيشْنق وبمجرد أن رأى ردة فعله علم أنه لن يتراجع، وأن نظرة الانتقام مازالت هي المسيطرة، إذن لن يستجيب لمطالب زوجته، ولن يحيد عن قراره وبدلك أصبح لزامًا عليه أن يقوم هو بالتنفيذ.

وبالفعل شرع على الفور في استكمال خطته حتى يفسد مخطط شِيشْنق، وبدأ يمارس حيلته ويقوم بتحريك الشموع المشتعلة واحدة تلو الأخرى نحو الفراش، ثم تركهم جميعًا ليسقطوا فوق الفراش الذي على الفور اشتعل بالنيران، التي أتت عليه بالكامل لتلتهمه.

كان شِيشْنق قد نهض من مكانه متوجهًا إلى حور، ليكمل معها ما بدأه، وما لبث سوى عدة ثوانٍ ثم رأى النيران تُضرم في الفراش وتلتهم ما عليه، ظل لوَهْلة يُحدِّق وهو يشعر بصدمة شديدة، وبعدها هرع محاولاً إخماد النيران، ولكن كلما حاول أكثر كلما زاد زين في إشعالها حتى أتت على الفراش بأكمله وبما فيه، ملتهمه جسد تيرا والطفل

بالكامل، وانتهت المهمة.

صرخ شِيشْنق صرخة مرعبة شديدة، وظل يزأر كالوحش الكاسرالجريح وهو يقول: لمَ؟، لمَ فعلت هذا؟، لن أرحمك، لن أتركك، سأحرقك حيًا، لن أتركك حتى لو طاردتك عبر الأزمنة جميعها، حتى لو كنت في الجحيم، سأذهب إليك، أنت لا تعلم حجم قوتي الآن، لقد أصبحت أقوى من الجميع، لقد أصبحت أملك كل القوى، لن تستطيع هزيمتي.

كان شِيشْنق يصرخ وهو يضع يديه بالنار في محاولة لإنقاذهما، ولكن من العجيب أن يده لم يصبها أذى، لم تحترق، كأنها لا تلامس النار، كانت تلك أشارة الرحيل، شعر زين أنه لم يعد له مكانًا هنا، وأنه توجب عليه العودة قبل أن يفتك شِيشْنق به، ولذلك هتف بوالدته قائلاً: أمي، أنقذيني.

وما هي إلا عدة ثوانٍ، حتى وجد نفسه يعود مرة أخرى بنفس الطريقة التي جاء بها، ويمر بأرواح عديدة، ليجد نفسه بالأخير جالسًا بجوار والدته في مخدعه.

كان يتصبب عرقًا، دقات قلبه متسارعة كأنه كان يخوض حربًا كبيرة، ونجا منها بأعجوبة شديدة، جسده يرتجف بعنف من الفزع الذي أصابه، وما إن رأته والدته على هذا الحال فأسرعت باحتضانه بحب كبير، وظلت تربِّت عليه حتى يهدأ، وهي تتحدث معه: تمالك نفسك يا ولدي، لا تخف، تمالك نفسك، وقص عليَّ ما رأيت.

عدة دقائق تمر حتى هدأت أنفاس زين قليلاً وبدأ يقص على والدته كل

ما شاهد، وما حدث، وما فعل.

عندها شهقت والدته شهقة عالية وقالت: هل تقول أن شِيشْنق علم بوجودك؟ يا ويلتي، وقمت أيضًا بإحراق جسديهما أمام عينيه، أي مصيبة حلت بنا، يا ويلتي.

انتاب زين الحيرة من كلمات غالية، وشعر بالدهشة الشديدة: ما المشكلة أمي، عن أي مصيبة تتحدثين، ألم يكن هذا مطلبك؟، ثم ماذا يمكن أن يفعله؟، أنسيتِ أنه قد انتهى أمره منذ أكثر من ألفي عام.

نظرت له أمه بحزن شديد وقالت: لا يا ولدي، أنت لا تعلم شيئًا، لقد اختفى تمامًا بعدما انتقم من حور، ولا نعلم ماذا حدث له؟.

فتساءل زين قائلاً: ماذا فعل بها يا أمي؟ ماذا حدث بعد ذلك؟ وما هو المحظور الذي فعله؟.

صمتت غالية مرة أخرى وظلت عيناها شاردة، تنظر في الفراغ ثم قالت: ما فعله بزوجته، تلك هي اللحظة الفاصلة التي بعدها حلَّ الدمار على حياتنا جميعًا، لقد خرج الشيطان الذي بداخله، وجعله ينسى كل المحاذير التي وضعت لنا، والتي لا يجب تخطيها، لم يفكر سوى في الانتقام فقط، لم يهتم بما سيحل بِنَا نتيجة فعلته، كل ما أراده هو الانتقام.

اندهش زين من حديث والدته وقال: ماذا تقصدي يا غالية؟، ماذا حدث؟.

لمست غالية وجه ولدها لمسة حانية من يدها وقالت له: يا ولدي قدرنا

أن قوانا تكون للخير، وتحل علينا اللعنة لو اُسْتخدمت في الشر، ومن سيفعل سيكون ملعون لآخر الزمان هو وسلالته، جدك كانت بداخله نيران أحرقته وأحرقتنا معه، لم يستطع أي إنسان ولا أي قانون أن يردعه عن ما فعله، لقد مارس على زوجته كل أنواع التعذيب الممكنة من خلال قواه، لقد أخذ دماء زوجته وولده وبدأ يمارس طقوسًا لتظهر له أرواحهم، ثم بدأ الانتقام، لقد نبش قبور أجدادنا وجمع عظام كل من له قوى وسحقهم معًا، وألقى تعويذة محظورعلينا استخدامها، لتجتمع كل القوى به ويصبح أقوى من ذي قبل، وعندما نال مراده بدأ طقوس التعذيب.

بدأ معها بالأوهام والكوابيس، لقد كانت مسجونة داخل أوهامها، لم يكن بحاجة إلى وضعها في زنزانة، أو سجنها في مخدعها، أو حتى تعذيبها بالسياط، لقد تركها للأوهام التي زرعها داخل عقلها، كانت ترى أسوأ كوابيسها أمامها، كانت تجد الغرفة ممتلئة بالأفاعي، حتى أنهم كانوا يجدون أثار عضات على جسدها، ومرة أخرى عقاربًا، أو وحوشًا، كانوا يستمعون لصراخها الذي لا ينقطع، والذي يدل على رعبها الشديد، حاول كبار الكهنة الموالين للأسرة الفرعونية فك تلك اللعنة التي حلت بها، ولكن للأسف فشلوا جميعًا، واستمرت هكذا من عذاب إلى عذاب، حتى وُجدت في يوم وقد نحرت عنقها، ولَم يكتف بهذا، لقد ألقى لعنة على جسدها؛ لتظل روحها ملعونة في الأرض حتى يوم البعث، وكما توقع الجميع حلت اللعنات على الجميع، بدأنا نفقد قوانا، حتى أصبح من يحمل تلك القوى يظهر مرة كل قرن، أعدادنا في تناقص، أرواحنا

جميعًا ملعونة، كل سلالة شِيشْنق أرواحهم تهيم في الأرض لا تستطيع الوصول إلى أرض الموتى، والآن يا ولدي أنت آخر السلالة، بموتك تنقطع كل السبل لفك تلك اللعنة، يجب أن تتزوج من زينة، هي خلاصنا.

ثم نظرت للكتاب وأكملت حديثها: هذا الكتاب موروث منذ أكثر من ألفي سنة، أسماه أجدادنا لعنة شِيشْنق، كان يملكه فقط من له قوة خاصة، ليجمع فيه كل المعلومات التي تلزم من سيظهر بعده، حاول الجميع على مدار القرون الماضية أن يتوصلوا إلى الحل لإبطال اللعنة، هذا الكتاب ليس مجرد ورقات مكتوبة، إنه وسيلة للتخاطر بيننا جميعًا، عندما أقوم بفتحه، تهب كل الأرواح وتحضر إليَّ، عندما أقرأ كلمات شخص منهم، تمر حياته أمامي كما لو كنت معه، هذا الكتاب هو طريقتنا للتواصل وحل اللغز الذي دمر حياتنا جميعًا.

صمت زين وهو يستمع ويتلقى الصدمات، صدمة تلو الأخرى، قبل قليل لم يكن يعلم أي شيء عن كل هذا، كان يحيا بصورة طبيعيه، كأي إنسان آخر، يعمل في أرضه التي ورثها عن أجداده، ويسخر من الأخبار التي تصل إليهم عما يحدث في القاهرة من تدخل بريطانيا المستمر في الحكم وضعف الخديوي، كان يحمد الله على أنه يعيش في أجمل بقاع الأرض سيوة، وأنه لا يوجد ما يعكر صفو حياته، سوى حديث أمه المستمر والذي لا ينقطع عن زينة المزعومة، التي لم يعثر لها على أي أثر في مدينة سيوة كلها.

ثم بادر أمه بالسؤال قائلاً: إذن أنتم إلي الآن تجهلوا حقيقة اختفاء الملك شيشنق؟

فأجابته: نعم، نهايته غير معلومة، لقد كان يعيش كالميت الحي، حتى اختفى فجأة ولَم يعثر عليه أحد، كثرت الأقاويل وتعددت الروايات، عن انتحاره، وهناك من قال ابتلعه البحر، وهناك من قال أن روح الملكة الملعونة طاردته حتى قتلته وهذا ما نشعر جميعًا به، ولكننا لم نستطع أن نتأكد؛ لأن روحه محجوبة عنا، لا نستطيع رؤيتها، فجرمه كبير.

صمت زين قليلاً يفكر ثم قال: وهل توصلتم لطريقة لفك اللعنة.

فابتسمت أمه أخيرًا وقالت: نعم، الحل الوحيد، هو أن تمتزج دماء عائلة شيشنق مع دماء عائلة الملكة حور، وهذا يحدث بالزواج، وقتها فقط ستزول اللعنة، وترتاح الأرواح الهائمة، وتعود قوانا، وتزيد ذريتنا.

فأجاب زين: وإذن كيف نعثرعلى زينة التي من نسل الملكة؟

نظرت له أمه بحزن شديد وقالت: تلك هي المشكلة!!

الفصل الخامس:

حدَّق زين بوالدته وقال: أي مشكلة أخرى يا غالية، ألم تكتف من المشاكل حتى الآن.

ظلت غالية صامتة قليلاً ثم ابتسمت لولدها في محاولة منها لإنهاء الحوار مؤقتًا وتحدثت قائلة: اخلُد للراحة الآن يا بني، ولنا حديث آخر، فقط اخلد للراحة، ولا تقلق.

لم يحاول أن يُلح عليها في السؤال لقد كان بالفعل متعبًا ويشعر بإرهاق شديد؛ ولذلك لم يجادل وانصاع لطلبها، وبالفعل لم يلبث سوى لحظات وغط في نومٍ عميق.

أما هي فقد نهضت من جواره لتتركه ينال قسطًا من النوم، ولكنها قبل أن تخرج من باب المخدع توقفت واستدارت تتأمل ولدها وقلبها يكاد ينفطر عليه مما سيلاقيه، وقفت تنظر إليه وهي تحدث نفسها قائلة: أعانك الله يا ولدي، فأنت لا تعلم ما أنت ملاقيه، لا تعلم مقدار ما ستتحمله من أعباء، اغفر لي، لو كان الأمر بيدي، ما فعلت بك هذا، اغفر لي.

مضت أيام عديدة وزين ما زال عالقًا فيما حدث معه، عقله يحاول استيعاب كل ما مرَّ به، يود لو يستطيع أن يجد وسيلة لإيجاد زينة بعد

أن علم من والدته أنهم بحثوا عنها في كل مكان، ولكن لا يوجد لها أي أثر، حتى أن والدته فسرت هذا بأنه قد يكون وجودها مرتبط بوجود زين، وأنه من يجب أن يجدها.

لذا كان يقضي معظم يومه في البحث المستمر عنها، والتفكير الدائم لعله يجد الوسيلة المناسبة لإيجادها، وفي أكثر من مرة كان يحاول الاستعانة بقوته الجديدة فقد تُحدث فارقًا ولكن كل المحاولات باءت بالفشل، حتى جاء يوم شعر فيه بالإرهاق واليأس الشديد، وأنه لم يعد يستطيع المواصلة على هذا النحو، كان في حاجة لأن يُصفي ذهنه ويبعد عنه كل ما يؤرقه ويرهقه، والأهم كان بحاجة إلى النوم والراحة حتى يستطيع أن يستعيد نشاطه وقدرته على المتابعة، وبالفعل عاد في ذلك اليوم من الخارج إلى مخدعه مباشرة ليلبي جسده هذا النداء وخلد للنوم على الفور، ولكن أثناء ذلك حدث مالم يتوقعه أحد، لقد أعلنت الروح التمرد والعصيان، فقد سئمت من الانتظار، سئمت من إخفاق زين المتكرر في التواصل معها؛ لذا لم تقبل بالراحة بعد أن استطاعت أخيرًا معرفة ما يدور حولها، ومدى قوتها، والأهم كيفية استخدامها؟ ولذلك عندما ذهب الجسد للنوم، ذهبت الروح إلى مكان آخر، إلى حديقة جميلة غنّاء، بها الأزهار والورود في أشكالها البديعة، ولكن الذي كان يميزها بالفعل، هي تلك الزهرة التي لا تضاهيها أي زهرة أخرى في جمالها، كانت تقف في منتصف الحديقة فتزيدها جمالاً وحسنًا، ملامحها العذبة الرقيقة، عيونها التي تشبه عيون المها، وجدائل شعرها البنية التي تلمع مع ضوء الشمس، شفتاها الجميلتان الوردية اللون،

وبشرتها البيضاء الرقيقة، كل ما فيها يصرخ بالجمال وبأنها فريدة من نوعها، ليس لها مثيل.

كانت تقف تعتني بالأزهار وهي تدندن بلحن جميل، يطرب الأذن والروح، تلمس الزهور برقة، كأنها تخاف عليها من لمستها أن تؤذيها أو تؤلمها.

ظلت تنتقل بين الأزهار، ترويها، وتزيل الأعشاب الضارة من بينها، وهي ما زالت تشدو لها، وفجأة توقفت عما تفعله، وأنصتت بانتباه، ثم بدأت تلتفت يمينًا ويسارًا، وفِي كل اتجاه، تبحث عن شيء ما، أوشعرت بشيء، وعندما لم تجده عادت لعملها، ولكن هذه المرة بدون غناء، استمرت في عملها وهي قلقة، كانت عيناها زائغتان كأنها تشعر بوجوده، أو كأن هناك ما يثير ريبتها.

ظلت روح زين تدور في حلقات حول الفتاة تتفحصها، وتدقق النظر بها، وفِي لحظة وقفت مرة أخرى وقالت برهبة وهى تحاول التماسك: من أنت؟، لماذا تراقبني؟ إني أشعر بوجودك، أستمع لأنفاسك ولكن لا أراك، من هنا؟.

توقفت الروح عن الدوران، واقتربت من زينة وبصوت خافت أجابتها: حبيبتي، بحثت عنك طويلاً.

شعرت زينة بالفزع وتراجعت للخلف حتى كادت تطرح أرضًا، ثم سكنت الروح، وما هي إلا ثوانٍ، وشهق زين شهقة كبيرة، كأنه كان يصارع الموت، وانتصر أخيرًا، فعادت روحه مرة أخرى إليه، استيقظ زين

ووثب وثبة عالية من على الفراش، وهو يركض خارج مخدعه، ويهتف مناديًا والدته: غالية، يا غاليتي، أين أنتِ؟.

أجابته والدته: أنا هنا يا ولدي، في مخدعي، تعال إليّ.

دلف زين سريعًا إلى مخدع والدته وهو يهتف قائلاً بسعادة: رأيتها يا أمي، رأيتها، إنها جميلة، جميلة كالشمس في دفئها، جميلة كالقمر الكامل في نوره، كالنجوم التي تلمع في السماء، لا بل هي أجمل من كل هؤلاء جميعًا.

نظرت له والدته بحيرة وقالت: من هي؟، عمن تتحدث؟.

فأجابها زين بسعادة: زينة يا أمي، أتحدث عن زينة، إنها جميله مثل الشمس والقمر والنجوم وهم مجتمعون معًا، بل إنها أجمل منهم جميعًا، لقد رأيتها تقف في حديقتها ولكنها كانت أجمل منها، أجمل من كل الزهور الموجودة بها، إنها زهرة جميلة نادرة لا مثيل لها.

نظرت له والدته بدهشة ولهفة شديدة وقالت: هل تعلم بمكانها؟ هل عرفت أي شيء عنها؟.

فأجابها زين: لا، لم أعرف، فقط رأيتها وهي تروي الأزهار وتغني لها.

صمتت والدته قليلاً ثم قالت: هل تستطيع أن تعود إلى هناك مرة أخرى؟ ولكن تلك المرة يجب أن تحدد مكانها، يجب أن تعرف كل شيء عنها، يجب عليك ذلك، لم يعد هناك وقت طويل لنهدره، لم يعد هناك وقت على الإطلاق.

تفحص زين وجه والدته وأيقن أن هناك مالم تَبُح له به فبادرها قائلاً: هل تخفي عني شيئاً؟ هل هناك ما يجب أن تخبريني به؟.

فأجابته والدته وهي تحاول أن تصطنع الهدوء: كل شيءٍ في ميعاده يا بني، كل شيءٍ في ميعاده، فقط مهمتك الآن أن تجدها، ولكن احذر يجب أن تحمي نفسك جيدًا، فروحك ضعيفة عندما تبتعد عن الجسد، لا تكون بنفس القوة؛ لذلك كن على حذّر شديد، لا تكشف عن نفسك، وكن دائمًا محميًا، نحن لا نعلم أي خطر يتربص بِنَا.

فأجاب زين والدته وقد تأكد أن هناك المزيد: لا تقلقي يا حبيبتي، سأتوخى الحذر دائمًا، والآن سأتركك لأعاود النوم، وأنتِ أيضًا حاولي أن تستريحي قليلاً.

عاد زين إلى مخدعه وظل يفكر في كل ما حدث، وما سوف يحدث، وما هي المخاطر التي تتحدث عنها والدته، ثم تذكر زينة، ملامحها، صوتها، رقتها، كل شيء، وشعر أن قلبه تعلق بها منذ أن وقعت عيناه عليها، وأنه يجب أن يسرع في الوصول إليها.

وفِي مكان آخر غير معلوم تمامًا في أي بلد ولا في أي زمان، وبعد مرور أكثر من ثلاثين يومًا على تلك الحادثة المخيفة التى راح ضحيتها تيرا وولدها، كانت تجلس فتاة في مخدعها أمام المرآة تُحدِّق بها، وهي تمشط شعرها بأصابعها وتصنع منه جدائل طويلة، ثم بدأت تتحدث مع المرآة كأنها ترى بها شخصًا أخر غيرها: إلى متى؟ إلى متى سنظل هكذا؟، الأيام تمر والسنين تمضي ولا أعلم إلى متى سأحتمل تلك الحياة؟ إن

الأوجاع التى في قلبي لم أعد أستطيع انكارها، لم أعد أرغب في تلك الحياة، الموت أهون من العيش بلا ماضٍ ولا حاضرأو حتى مستقبل، ثم انتبهت لصوت طرقات على الباب، وقبل أن تجيب فتح سريعًا ليطل عليها رجل هيئته تشعرك بالرهبة والخوف، كأنه قادم من كتب الأساطير، تظهر القوة عليه في مُحيَّاه، وجهه، وعينيه، جسده القوي البنيان، كل ما فيه ينطق بقوته، دلف الرجل لداخل المخدع وهو يقول: كيف حالك يا زينة؟

فانتفضت الفتاة من مجلسها وهرعت إليه تحتضنه وهي تقول: لست بخير، أين كنت؟، لقد طالت غيبتك، لماذا تتركني هكذا وحيدة؟ لقد مللت من الوحدة، مللت من هذا السجن.

وضع الرجل يديه على كتفيها وأبعدها عن صدره وحدَّق بوجهها قائلاً: سجن!!، هذا القصر سجن!!.

فأجابت وهي تنظر له: نعم، طالما لا أستطيع الخروج منه، طالما لا أرى أحدًا غيري، إذًا هو سجن.

أشاح عنها بوجهه واتجه صَوْب الفراش وجلس ثم أردف قائلاً: لقد تحدثنا من قبل يا زينة، لا أستطيع أن أسمح لكِ بالخروج، هناك خطرٌ كبيرٌ بالخارج، يجب ألا تتعرضي له.

نظرت له زينة بحزن ثم ذهبت وجلست بجواره وقالت، إلى متى سيظل هذا الخطر؟، إلي متى؟، أنا هكذا منذ أن وُلدت، إلى متى سأظل أعيش وحدي، لا أرى أحدًا، لا أعلم حتى هل يوجد لي عائلة أم لا؟.

نهض الرجل عن الفراش وصاح غاضبًا: ما بكِ يا زينة؟، هل ستظلين ترددين نفس الكلمات عندما تريني؟ كفى، لا أريد أن أسمع هذا الحديث مرة أخرى.

انتفضت الفتاة من مكانها وهي تشعر بالرعب وأطرقت رأسها أرضًا ودموعها لا تتوقف، وقالت بصوت يملأه الحزن الشديد: أنا مخطئة، اغفر لي، لن أعيدها مرة أخرى.

فتحرك الرجل صوْبها ووضع يده أسفل وجهها ورفعه لينظرفي عينيها وقال: لا أريد أن أرى دموعك، أنتِ تعلمين كم هي غالية؟.

توردت وجنتاها وابتسمت له: لن أبكي مرة أخرى.

ثم أردف الرجل الغامض قائلاً: هل حدث اليوم أي شيء جديد؟.

نظرت له زينة بدهشة وقالت: ماذا تقصد؟ وهي بداخلها تشعر بالحيرة والارتباك، لا تعلم هل تخبره بما حدث لها؟ أم لا، هل تخبره أنها تشعر بوجود أحد ولكنها لا تراه، أنها تسمع أصواتًا لا تعلم مصدرها، ولا تستطيع تفسيرها، إنها في طريقها للجنون.

فأعاد الرجل سؤاله بأسلوب أكثر حدة: هل حدث شيء غير متوقع في الأيام السابقة؟

تسمَّرت زينة مكانها، وظلت بداخلها الأفكار تتشاحن لا تعرف بما تجيب، وأخيرًا حاولت أن تفتح فمها لتجيب وقالت:.....

الفصل السادس

شعرت زينة بالارتباك فهي لا تعلم بمَ تجيب؟ ولكن هاتفًا بداخلها منعها من أن تبوح له، فنظرت له وقالت وهي تشعر بالذعر من أن يكشف أمرها: لا، لم يحدث أي شيء مختلف.

كانت نظراته لها نظرات تدل على الشك، فهو يشعر أنها تخفي شيئًا، ولكنها وقفت بثبات محاولة أن تظهر الصدق في حديثها، حتى قال لها أخيرًا: هيا بِنَا لنجلس قليلاً في الحديقة قبل رحيلي.

عاودها الحزن ثانيةً عند سماعها تلك الجملة، سيغادر مرة أخرى ويتركها لوحدتها فتحدثت وفِي صوتها نبرة عتاب: هل سترحل سريعًا هكذا؟.

فأجابها بهدوء: أعدك بأني سأعود قريبًا.

انتهى اللقاء بنفس السرعة التي بدأ بها، ورحل الرجل الغامض سريعًا، كأنه شبح لا يمكث في المكان كثيرًا.

ومع حلول الظلام صعدت زينة لمخدعها لتخلد للنوم، بالرغم من أنها لا تشعر بالنعاس ولكن لا يوجد لديها أي شيء آخر تقوم به، دلفت إلى الفراش وأغمضت جفنيها في محاولة يائسة للنوم، ولكن الأرق كان يلازمها لدرجة جعلتها تعدل من وضعية نومها كل دقيقة، تارة على الجانب الأيمن، وتارة أخرى على الجانب الأيسر، كان ذهنها عالقًا في

ما يحدث معها طوال الأيام الماضية، تلك الأصوات التي تلازمها، هذا الصوت الذي لا تعلم مصدره أو إذا كان حقيقةً أم من نسج خيالها، استمرت هكذا ساعات حتى غفت أخيرًا، وذهبت في سبات عميق.

وأثناء نومها بدأت ترى حُلمًا عجيبًا لم تره من قبل، كانت في حديقة القصر تجلس وسط الأزهار، ثم لمحت ظل يبدو من هيئته أنه رجل، يقف هناك بين الأشجار يراقبها في صمت، ولا يحاول الاقتراب، نهضت وهي تُحدِّق به، وكانت دهشتها الأكبر أنها لم ينتابها الخوف منه بالرغم من أنها لم ترَ بشريًا من قبل سوى رجلها الوحيد الذي تراه بين الحين والآخر، والمرأة البكماء التي ترعاها في القصر، غير ذلك لم تشاهد أي إنسان ولَم تقع عيناها على أي أحد سواهما.

بدأت تخطو نحوه تقترب منه وهي في شوق لتتبين ملامحه، وعندما أصبحت على مقربة كافية منه لم تستطع أن تراه جيدًا؛ فالظلام كان دامسًا فبادرت بالحديث قائلة: من أنت؟.

فأجابها بصوت رخيم جميل لم تسمعه من قبل، صوت كان له وقْعه على قلبها كوقع السحر: أنا قدرك.

اندهشت زينة من أجابته وأضافت: قدري، ماذا تقصد؟.

فأجابها: أنا من كُتب لكِ، أنا نصفك الآخر، أنا حياتك القادمة، أنا روحك التي عبرت كل الأزمنة لتجدك.

هامت زينة مع كلماته التي سحرتها؛ فأغمضت عيناها لتخفي ما ألمَّ بها

من وقْع تلك الكلمات الساحرة، ثم شعرت بقشعريرة في جسدها عندما لامست يده وجنتها، شعور لم تصادفه من قبل، شعورلا تستطيع وصفه، فتحت عينيها ولكنها تفاجأت عندما لم تجده، كان قد اختفى تمامًا كما لو كان مجرد سراب أو خيال لا وجود له، صرخت تناديه وهي لا تعلم ماذا تقول، ولكنها لم تتوقف عن الصراخ: يااا....يااا هذا، أين أنت؟.

ثم فجأة استيقظت من حُلمها وهي ما زالت تصرخ، ويالدهشتها عندما شعرت أن يديه لامست بالفعل وجنتها وأن القشعريرة ما زالت تسري في جسدها كأن ما حدث كان حقيقيًا.

قفزت زينة من فراشها مسرعة، وظلت تذرع المكان في حلقات وهي تشعر بالحيرة والدهشة والخوف، لم يسبق لها أن رأت حُلمًا، ولَم يراودها شيء كهذا من قبل، ثم أنها تكاد تجزم أنه ليس حُلمًا بل حقيقة، قلبها يحدثها بأن كل هذا حدث بالفعل، بدأ يعتريها القلق الشديد من اكتشاف أمرها، وأن يعلم حاميها ما يحدث معها؟.

لذا ذهبت على الفور إلي صديقتها الوحيدة وكاتمة أسرارها التي دائمًا تبوح لها عما بداخلها من مكنونات دفينة، جلست أمام مزينتها، وبدأت تشكو لها أحوالها وما يحدث معها، كانت تلك وسيلتها الوحيدة للشعور بالونس؛ حتى لا تفقد عقلها من الوحدة الشديدة، جلست زينة أمام مرآتها وقالت: ما الذي يحدث لي؟، لم أعد أفهم، من هذا الرجل؟ وماذا يريد مني؟ وما هذا الكلام الذي تَفوَّه به؟.

هل أصبحت الآن أتوهم أشياء؟ هل الوحدة الشديدة التي أشعر بها

أثرت بي؟، هل جن عقلي؟، وأصبح يتوهم خيالات لا أساس لها من الصحة.

كانت زينة تتحدث وعيناها متعلقة بالمرآة؛ لذلك كان من الطبيعي أن يتملكها الفزع عندما تختفي صورتها من أمامها فجأة وتظهرعوضًا عنها صورة أخرى ليست لها، نعم لم تكن هي، بل كان هو، نفس الرجل الذي شاهدته في حُلمها، انتفض جسدها من هوْل المفاجأة وتراجعت للخلف وهي جالسة على المقعد الصغير، فسقطت سقطة قوية على ظهرها، لم تكترث للألم الذي حلَّ بها، كما كانت تكترث لما يحدث لها الآن، كانت الدهشة والرعب هما المسيطران على المشهد.

تحسست زينة موقع الألم ثم حاولت النهوض ببطء وهي لا تعلم إذا كان ما رأته حقيقيًا، أم أيضًا من نسج خيالها، وأخيرًا استطاعت النهوض وهي تشعر بالخوف من النظر مرة أخرى إلى المرآة، جاهدت نفسها ألا تفعل ولكن فضولها هو من كسب المعركة، فعادت لتنظر نحوها وقلبها يود أن تراه ثانيةً، ولكن للأسف لم تجد شيئًا، فاقتربت من مرآتها مرة أخرى، وجلست أمامها وقالت وهي تُحدِّق بها: ماذا يحدث لي؟، هل أصبحت أهذي إلى هذا الحد؟.

وما هي سوى لحظات وجاءها الرد سريعًا عندما وجدته يظهر لها في المرآة ثانيةً، ولكن تلك المرة لم تتحرك خطوةً واحدة، بل تسمَّرت في مكانها لم تزحزح، كان حِذْرها يُنبئها بالهرب ولكن حدسها يخبرها بأنه لا داعي لذلك، فجلست متشبثة في المقعد بكلتا يديها كأنها تحولت

لتمثال لا يقوى على الحركة.

تجلت صورة زين في المرآة وكانت ضبابية بعض الشيء، لم تكن واضحة تمامًا، ولكنها استطاعت تحديد ملامحه جيدًا، ثم اقتربت بوجهها من المرآة وظلت تتأمل صورته حتى تبدد الخوف الذي بداخلها وحلَّ محله إحساس جديد لم تعهده من قبل، فتلك المرة الأولى التي ترى فيها وجه رجل غير من يحميها، وشتان بينهما فتلك ملامح تتصف بالقسوة والعنف والقوة، أما هذا فملامحه جذابة ومريحة، ملامح آسرة للقلب، أو ربما لقلبها هي فقط.

ظلت زينة على هذه الحالة حتى تحدث لها قائلاً: لا تجزعي، ولا تفري مني من جديد.

فأجابته والكلمات تتلعثم على لسانها: أنااا... أنااا لست.... أنت... من أنت؟.

ـ لقد أخبرتك من قبل، أنا قدرك، أنا من خُلقتِ له، وخُلقت لكِ، أنا من عبرت كل الأزمنة لأجدك.

ـ شعرت بالارتباك والحيرة وقالت: لا أفهم، عما تتحدث؟.

ـ أنتِ زينة؟.

ـ فزاد ارتباكها أكثر وقالت: كيف عرفت اسمي؟

ـ تبسم لها ابتسامة هادئة وقال: وكيف لا أعرف اسم حبيبتي؟ لقد بحثت عنكِ طويلاً، وحلمت بكِ كثيرًا، ووجدتك بعد عناء شديد.

ـ اشتعل وجهها بحُمرة الخجل، وتوردت وجنتاها، فأخفضت رأسها حتى تتفادى النظر في عينيه، وفِي غفلة منهما وجدت زينة باب مخدعها يفتح على مصراعيه، لتجده يقف بجوار الباب وعلى وجهه يرتسم الغضب الشديد.

انتفضت كالمذعورة من جلستها لا تعلم كيف تتصرف؟ ولَمْ تهدأ حتى رأت أن المرآة عادت كما كانت، فهرعت نحوه وهي ترتجف بشدة ولكنها حاولت التماسك ثم قالت: لقد عدت سريعًا.

كان الغضب باديًا على وجهه وهو يتقدم نحوها بسرعة شديدة ويجذبها من معصمها بعنف قائلاً: مع من كنتِ تتحدثين؟.

حاولت زينة التخلص من قبضته وهي تتأوه من حدة الألم وقالت وهي تبكي: لم أكن أتحدث مع أحد، كنت أحدث نفسي.

اشتد غضبه وصفعها صفعةً قوية، أسقطتها أرضًا وقال: كاذبة، أنتِ كاذبة، كنتِ تتحدثي معه، استطاع الوصول إليك، لا، لا والجحيم لن يحدث هذا، ثم توجه إلى المرآة ووقف أمامها يُحدِّق بها: إذن تلك وسيلته، لا لن أسمح بهذا.

وعلى الفور قام بخلعها وألقاها أرضًا بقوة، فتحطمت وصارت شظاياها متناثرة في كل أرجاء الغرفة.

وعندما انتهى منها التفت إلى زينة وبغضب شديد قال: إذا أردتِ البقاء على قيد الحياة، فافعلي ما أمرتك به.

كانت زينة لا تزال على الأرض، تنظر إليه وهي مرتعبة منه لقد رأت

اليوم وجه آخر لم تره من قبل، وما زادها رعبًا هو أنها قد لا تستطيع أن ترى ذلك الرجل مرة أخرى، فهل من الممكن أن تكون تلك كانت نهاية البداية؟ وأن تحطيم المرآة قد قضى على فرصتها الوحيدة.

الفصل السابع

مكثت زينة على الأرض، ترتعد من الخوف، تشعر بألم شديد في قلبها، لقد انتهى الحُلم قبل بدايته، لقد قُضي على أي أمل لديها في أن تتبدل حياتها، وأن تخرج من تلك الهُوة السحيقة التى سُجنت بها لعالم أخر مختلف، عاد اليأس مرة أخرى يتسلل إلى قلبها، وأصبح الشعور بالحزن يسيطرعليها، كل ذلك مصطحبًا معه الخوف والرعب الشديد منه، وَمِمَّا قد يفعله بها.

ومع كل ما يعتمل بصدرها لم تتردد في أن تواجهه حتى تعرف مصيرها، كانت خائفة ولكنها نظرت له بحدة وغضب وقالت: لمَ تفعل بي هذا؟، أنا لا أفهم، لم أعد أتحمل كل هذه الأسرار، حتى اسمك لا تريد أن تخبرني به، ما السر الكبير الذي تخفيه عني؟، تكلم، أجبني، يكفى كل هذا الصمت وتلك الألغاز، يجب أن أعلم الحقيقة.

حدَّق بها لبعض الوقت، كانت نظراته كالسهام تستطيع أن تصيبها وترديها قتيلة، مما جعلها تنكمش على نفسها خوفًا من ردة فعله ثم وبغضبٍ شديد هتف قائلاً: شيشنق، أنا شيشنق تذكري هذا الاسم جيدًا.

عودة للأحداث السابقة، وخاصةً إلى اللحظة التي أحرق بها زين جسد تيرا وولدها، ثم لاذ بالفرار.

تاركًا شيشنق في حالة من الضياع والصدمة الشديدة، لقد ضاعت فرصته الوحيدة في أن يرى تيرا وولده مرةٍ أخرى، بعد احتراق جسديهما لَم يعد بمقدوره استحضار روحيهما ثانيةً، لقد ذهبا للأبد، وهو خسر كل شيء وبات وحيدًا، لم يعد هناك معنى للحياة، لم يعد هناك رغبة في أي شيء سوى الانتقام، الانتقام ممن حرمته من حبيبته وابنه، من قتلتهما بدم بارد، والانتقام أيضًا ممن حرق جسديهما، وأغلق في وجهه أي أمل في أن يراهما مرة أخرى.

اعتلت مشاعر الغضب وجه شيشنق مرة أخرى، لدرجة تجعله يبدو كمن يستطيع حرق ما أمامه بنظرة غاضبة من عينيه، ثم انتبه إلى حور وتوجه إليها وهو يقول: لم يبق سوانا، فلنبدأ الاحتفال، يبدو أني سأقيم احتفالات كثيرة.

ارتعدت حور، كانت تحاول ألا تواجه نظراته من شدة الفزع الذي تملكها ثم قالت: ماذا تقصد؟، ما الذي تنوي فعله؟.

فابتسم لها ابتسامة مرعبة وقال بصوت مخيف يشبه فحيح الأفاعي: لا تتعجلي، سترين كل شيء قريبًا، كل ما لا يمكن أن يخطر لكِ على بال سترينه، ثم جذبها من معصمها وغادرا سويًا القصر، متجهين إلى قصر الحكم.

مضى بعض الوقت عليهما وهما في الطريق كانت حور مذعورة تود لو تستطيع قدميها حملها لكانت أطلقت ساقيها للرياح وهربت، ولكن الخوف أصابها بالجمود فلم تعد تقوى على الحركة، وبمجرد وصولهما القصر، توجه شيشنق على الفور إلى المخدع الخاص بها وهو يجذبها

خلفه، ثم أمر جميع الحاشية بالخروج وأغلق الباب خلفهما ليستدير نحوها ويواجهها بنظراته التي لم تعد تحتمل رؤيتها، كانت تقف مرتعدة فرائصها من شدة الخوف، حتى التوسل لم تعد تملك القدرة عليه، وقفت أمامه تنتظر حكم الإعدام، وتتمنى بداخلها أن يكون بدون ألم، إعدامًا يتغلفه الرحمة، وبرغم كل ما تمر به كانت مازالت تملك بصيص ضئيل من الأمل بداخلها أنها قد تنجو منه؛ ولذا ظلت تدعو آلهتها بصمت لعلها تغيثها، ولكن لا مجيب.

اقترب منها شيشنق ومع كل خطوة يخطوها كانت ملامحه تزداد اشتعالاً، كأن الحريق الذي التهم جسد حبيبته وولده تطاير حتى وصل إلى روحه وقلبه، كان كالجمر المتقد، يستطيع أن يحرق كل من حوله، عيناه تدب الفزع في قلبها، وهيئته التي تحولت من هيئة إنسان إلى شيطان، كفيلة بأن تتسبب في موتها بدون أي جهد.

اقترب منها ثم أمسك وجهها بيده، وغرس أظافره فيه حتى كاد أن يمزق بشرتها، كانت تصرخ من شدة الألم حينها قال وهو يضحك بسخرية: الألم لم يأت بعد.

ثم أخرج من جُعبته صُرة من الجلد بداخلها مسحوقًا رماديًا وبدأ ينثر ذراته في أركان الغرفة وفِي الهواء، وبعدها اتجه نحو باب المخدع وهو يقول: لقد انتهى دوري، والآن سأشاهد انتقامي يتحقق، وكما وعدتك ستتمنين الموت، وأثناء خروجه من الباب أردف قائلاً لنفسه: ويأتي الآن دور من حرق روحي بحرق جسديهما، لن أرحمه، ثم غادر وأغلق باب

المخدع عليها وتركها.

وقفت حور في مخدعها ترتجف وهي تدور بجسدها حول نفسها، عيناها زائغتان، لا تعلم ما الذي قد يحدث؟، ولا ماذا فعل بها؟، كانت خائفة، خائفة حتى من أن تحرك قدمها من موقعها، بدت كمن ينتظر الموت، يعلم أنه قادم، ولكن لا يعلم من أين سيأتي؟.

ظلت هكذا وقتًا طويلاً، وعندما لم يحدث شيئًا، بدأت تهدأ قليلاً، وتسلل الأمل لقلبها أنه لن يحدث شيء، ولشدة إرهاقها لم تشعر سوى وهي تتجه صوْب الفراش وتلقي جسدها عليه وتحتضن وسادتها ثم تغط في نومٍ عميق.

غادر شيشنق القصروهو لا يعلم وجهته، هو فقط يريد أن يصل له، ولكن لم يكتشف الوسيلة بعد؟

امتطى عربته التي تجرها الخيول، ولَم يسمح لأحد من الحرس الملكي أن يرافقه، انطلق بأقصى سرعة كما لو كان يسابق الزمن وهو يضرب الخيول بقسوة شديدة، حتى وصل إلى مقبرة كبيرة خاصة بشعوب الأمازيغ، ترك عربته خارج الأسوار الحديدية ودلف إلى المقبرة التي تضم العديد من القبور والأضرحة، استمر في السير إلى أن وصل إلى غايته، ضريح كبير يختلف عما حوله، كتب عليه باللغة الأمازيغية (بعد الموت هناك حياة).

التفت شيشنق حوله وعندما لم يجد أحدًا دلف للداخل، وبعد عدة خطوات وقف أمام جدار مرسوم عليه نقوش عديدة وقام بخلع القلادة

التي حول رقبته، كانت سداسية الشكل عليها رموز مثل التي على الجدار، ثم وضعها بداخل فتحة في الجدار الذي أمامه، ولَم تمر سوى ثوانٍ وانشق الجدار، ليكشف عن ممر خلفه، دلف شيشنق إلى الداخل وسار بالممر حتى وصل إلى قاعة كبيرة، جدرانها تحتوي على نقوش كثيرة، وبها العديد من التماثيل.

منها تمثال الإله باستت الذي له رأس أسد، وآخر على شكل الإله آمون، وقف شيشنق هناك في منتصف هذا المعبد السري الذي لا يعلمه سوى القليلين من الأمازيغ، ممن يملكون قدرات تميزهم عن غيرهم، وقف وهو يشعر بالضياع وبأن كل ما كان يتمناه في الحياة قد انتهى، حبيبته وولده، أنه لا يحتمل الفراق، لا يقوى عليه، وقف يبكي بصوت يشبه النحيب، ثم تحول بكاءه إلى صراخ شديد هز أرجاء المكان، حتى خَر ساجدًا وهو يتألم بشدة من ألم الفقد، ألم شديد يعتصر قلبه، لا يقوى على تحمله، ثم نظر إلى تمثال الإله آمون وقال: وملكك وسلطانك، لأنتقم من حفيدتك شر انتقام، لن أرحمها.

وأثناء ذلك سمع من يهتف باسمه عاليًا. قائلاً: شيشناق.

التفت لمصدر الصوت ليجد الكاهن الأكبر أمامه، فأشاح بوجهه وحاول أن يتماسك، أما الكاهن فتقدم نحوه وجثا على ركبتيه بجواره وقال بحنو بالغ وهو يربِّت على كتفه: ولدي، لمَ فعلت هذا؟، لمَ دنست حرمة الأموات؟، لمَ خالفت كل تعاليمنا؟.

نظر شيشنق له بعيون دامعة وقال: لقد رحلت تيرا وولدي، رحلا عن

عالمنا بعد أن نحرت حور عنقيهما، وتسألني لمَ فعلت هذا؟.

قال كلماته وهو ينهض وصوته يعلو وأردف قائلاً: لن أرحمهما، لا هي، ولا هو، سأذيقهما أشد أنواع العذاب، لن أهدأ حتى أنتقم.

نهض الكاهن بدوره وقال: أنت تعلم جيدًا أن ما تنوي فعله سيلحق الأذى بِنَا جميعًا، نحن لم نولد لهذا، قوانا ليست مخصصة لهذه الأفعال، يجب أَن تتمالك نفسك، يجب أن تردع تلك الرغبة التي بداخلك.

استمع شيشنق لكلماته ثم ضحك ضحكة شيطانية وقال: لقد لحق الأذى بي بالفعل، ولَم أعد أملك شيء سوى تلك الرغبة في الإنتقام، ولايوجد قوى على وجه الأرض تستطيع أن تثنيني، حتى لو دمرت العالم بأكمله لن أتراجع.

باءت محاولات الكاهن في إقناعه باللين ليعدل عن رغبته في الانتقام بالفشل، ولَم يتبق له سوى طريقًا واحدًا يجب أن يسلكه، وهو التهديد فهتف به بصوتٍ غاضب قائلاً: يجب أن تتراجع وإلا أنزلت عليك العقاب الأكبر.

انطلقت ضحكاته الشيطانية مُدوية في أرجاء القاعة وأجابه: لم يعد أحد قادرًا عليّ ولا حتى آمون بنفسه، فلا تحاول فعل أي شيء حتى لا ترغمني على إلحاق الأذى بك.

حدَّق الكاهن بدهشة إليه وقال: تلحق الأذى بي!، بوالدك!، كيف تجرأت؟، كيف طاوعك قلبك؟.

صمت شيشنق للحظات ثم اقترب من والده وجذب يده ليضعها على

صدره وهمس بأذنه قائلاً: لم يعد لديَّ قلب، حتى يطاوعني، لقد انتزع من موضعه، وأصبح مكانه خاويًا.

تأمله الكاهن بعيون دامعة ثم قال: يا ولدي، أنا أعلم حجم مصيبتك، ولكن ما تفعله لن يعيدهما ولن يداوي جراح قلبك، ولكنه سيفتح أبواب الجحيم على قبيلتنا جميعها، يا ولدي أنا لا أريد أن أقسو عليك، ولكن يجب أن تعلم أني لن أسمح لك بما تريد فعله.

قال الكاهن كلماته ثم أشار بيده فخرج من خلف الأعمدة عدة رجال من الأمازيغ، من هيئتهم يبدو أنهم رجال دين، مظهرهم الخارجي يدل على القوة والبأس الشديد، اصطفوا جميعهم على شكل حلقة حول شيشنق، وكانوا على أهبة الاستعداد لأي تدخل معه.

نقل شيشنق نظراته بينهم ثم لوالده وابتسم ابتسامة هادئة وهو يقول: يبدو أنك لا تعي ما أقول، لو جمعت رجال الأرض أجمع من بدء الخليقة لنهايتها، لن يستطيعوا منعي.

فأجابه الكاهن بصوت يحمل القوة والصرامة: ولكن رجال الأرض ليسوا كرجالنا، ليسوا كرجال قبيلتنا، أنت تعلم مدى قوتهم، فلا ترغمني على هذا.

ضحك شيشنق عاليًا وقال: دعنا نرى هذا، ثم وقف وهو متأهب لهم.

أشار الكاهن إليهم قائلاً: أوقفوه بأي ثمن، لا يجب أن يغادر هذا المكان مهما حدث.

بدأ كل رجل يتأهب لاستخدام قوته حتى يحاصروه وينجحوا في هزيمته.

وكأن السماء تزمجر وتعلن عن غضبها، فأطلقت جندها لتعصف بالمكان، وبدأت صيحات الرعد وسهام البرق تدوي في السماء وتعلن الحرب على الجميع، وبالرغم من أن المعبد تحت الأرض ولكن ظهر في الأعلى طاقة ضوء كبيرة وتجمعت الغيوم السوداء بها، والبرق يضرب كأنه بركان يتفجروأصوات الرعد تخيف كل من يسمعه، وقف شيشنق أسفل تلك الغيمة في المنتصف تمامًا، ورفع يده لأعلى وكأنه أعطى إشارة فتجمعت كل الصواعق في شعاعٍ واحد ونزلت بسرعة الضوء لتصيب جسده.

توقع الجميع أن ما أصابه هو لعنة من السماء وعقاب شديد أُلْحق به جرّاء فعلته، وأن المهمة قد انتهت بسهولة، ولكن القادم لم يكن هكذا، وما حدث خالف كل التوقعات، لقد زاده الشعاع قوة على قوته وأصبح كالصاعقة التي تحرق كل من يقترب منها.

الفصل الثامن

استغرقت حور في نومها ساعات طويلة من شدة الإرهاق الذي أصابها، ومحاولة منها للهروب مما قد تقاسيه، ولكنها لم تكن تعلم أن العقاب الذي أنزل بها سيجدها أينما كانت حتى في نومها؛ ولذا وأثناء غفوتها شاهدت كابوسًا مخيفًا أفزعها بشدة وظلت تصرخ إلى أن استيقظت من شدة الرعب.

انتفضت حور في فزع مما رأت، وجلست على الفراش تلتقط أنفاسها المتقطعة، وكأنها كانت تركض بأقصى سرعة من شيء يطاردها، جلست تحاول أن تهدأ قليلاً، وعندما بدأت تستعيد وعيها، انتبهت أنها ليست بغرفتها، وأن ما كانت تعتقد أنه كابوس، ليس سوى حقيقة متجسدة أمامها، استيقظت لتجد نفسها بغرفة من غرف الدفن التي تبنى تحت الأرض، غرفة صغيرة ومنخفضة جدًا لا تستطيع الوقوف بها، نظرت حولها فوجدت أنها مغلقة تمامًا لا يوجد بها باب للخروج، حاولت أن تزحف لعلها تجد طريقًا ولكن يديها وقدميها كانوا مكبلون بالسلاسل الحديدية، ظلت تلتفت حولها وعيناها جاحظتان من هوْل الصدمة لا تعي ما يحدث لها؟ وكيف وصلت إلى هذا المكان؟ وعندما تيقنت أنه ليس كابوسًا، انتابتها نوبة بكاء شديدة، تلاها صراخ لا ينقطع بسبب ما ظهر أمامها.

كانت الأفاعي والحيات والعقارب تزحف صوْبها من كل اتجاه، وتفيض من الجدران كالشلالات، حاولت أن تتخلص من قيودها لتنجو بحياتها ولكن لا فائدة، كان الذعر قد تملك منها وتعالت صرخاتها تهز أركان المكان ولكن لم يسمعها أحد ويغيثها، لا مجيب، ظلت هكذا في حالة من الهذيان وهي ترى الحيات تزحف فوق جسدها وتلتف حوله حتى أصبحت مغطاة بهم، حاولت كثيرًا إزاحتهم بالرغم من قيدها، ولكن ما انفكت الأفاعي والعقارب سوى أن تلدغها في كل أنحاء جسدها، كانت تحاول وبشدة أن تنجو منهم وهي لا تزال تصرخ لعل أحدًا يجيبها، إلى أن سمعت صوتًا قادمًا من بعيد يحدثها يحاول استعادتها، يحاول أن يحثها على أن تستفيق، انتبهت حور للصوت وحاولت أن تتبعه، وتيقنت أنه صوت وصيفتها، فاستمرت في الصراخ لعلها تغيثها مما هي فيه، ثم شعرت بأيدٍ تقبض على كتفيها وتهزها بعنف.

لم تكن حور قادرة على تحمل الألم، ومن شدة الخوْف كانت تغلق عينيها، وعندما شعرت بالأيدي التي تحاول إخراجها من تلك المقبرة الملعونة، وتطلب منها أن تستيقظ، فتحت عينيها لتجد نفسها مرة أخرى في مخدعها وعلى فراشها، ووصيفتها بجوارها تحاول أن توقظها.

ظلت تنظرحولها وهي لاتصدق أنها عادت إلى غرفتها، وأن كل ما حدث كان كابوسًا ولكن بالرغم من ذلك استمرت في الصراخ وهي تقول: لا.. لا ليس كابوسًا... إنه حقيقة، كانت حقيقية، ما حدث كان حقيقة.

كانت تتحدث وهي متشبثة بملابس وصيفتها خوفًا من أن تعود مرة أخرى لنفس المكان وظلت تبكي وهي تتحدث: إني لا أتوهم يا»

كارغما» لا أتوهم، إني أشعر بلدغات الأفاعي والعقارب في جسدي، إني أتألم بشدة، لست أتوهم.

حاولت» كارغما» تهدئتها وقالت: أرجوك أن تهدئي يا مولاتي، أنتِ بخيروعلى فراشك.

ثم وجدت حور الوصيفة تُحدِّق بها في ذهول فقالت: ما بكِ؟، ماذا حدث؟.

نظرت على جسدها وتيقنت أنها على صواب، لقد كان جسدها مغطى بعلامات كثيرة ومختلفة، علامات تدل على لدغات العقارب والحيات التي كانت تصارعهم منذ قليل، إذن ما حدث لم يكن كابوسًا، بل هو حقيقة.

فزعت حور وقالت: أرأيتِ؟، ألم أقل لك؟، ماذا يحدث لي؟، ماذا يحدث لي؟.

هرعت الوصيفة إلى الخارج وطلبت من الحرس أن يسرعوا بإحضار الطبيب، ثم عادت مرة أخرى إلى الملكة، لتحاول أن تطيب جراحها لحين حضور المعالج.

أما في المعبد:

فلقد وقف شيشنق ينظر للجميع بتحدٍ شديدٍ ثم قال بصوت جهوري: سأقولها مرة واحدة، أمامكم فرصة الآن للانسحاب، ومن يعترض سينال منه انتقامي، لن أرحم أحدًا، وسأعلن الحرب عليكم جميعًا.

وقف الجميع بثبات وتأهبوا للقتال ولكن كانوا من الغباء أن يتقاتلوا فردًا فردًا، فقواهم مجتمعة لا تضاهي قوته بمفرده، وبمجرد أن تقدم رجل منهم وحاول أن يسيطر على شيشنق ويمنعه من الحركة ليجهز الرجال عليه، كان شيشنق قد سبقهم واستطاع أن يطيح بهم جميعًا في الهواء بحركة واحدة من يديه، فجعلهم يتساقطون كالدُّمَى ثم غادر المكان ليستعد لمعركته الحاسمة.

قصد شيشنق مكانًا يعتبره مقدسًا وهي هضبة» أغورمي» التي ترتفع عن سطح الأرض بنحو ثلاثين مترًا، كان شيشنق يعلم أهمية هذا المكان فهناك تحدث ظاهرة فلكية تُسمى الاعتدال الربيعي، حيث تتعامد الشمس على تلك الهضبة مرتين كل عام في الاعتدال الربيعي والخريفي، ويتساوى الليل والنهار بعد 90 يومًا من أقصر نهار في العام، وبعده بتسعين يومًا أُخر يقع أطول نهار في العام.

كان شيشنق يعلم أن تعامد الشمس القادم سيحدث بعد يومين، فاعتلى الهضبة ومكث هناك قرابة اليومين لا يتحرك ينتظر تلك اللحظة، لا يغمض له جفن خوفًا من أن تمروهونائم، وبالفعل مراليومان وجاءت اللحظة التي تعامدت فيها الشمس وتساوى الليل والنهار، وهنا ظهرت أضواء في السماء تعلن عن أن الأبعاد جميعها متاحة له وأنه يستطيع أن يعبر إلى أي زمن يريده؛ لذا لم يتوان وفِي لحظات كان قد اختفى من على الهضبة ومن هذا الزمن تمامًا، لينطلق بحثًا عن عدوه الذي يريد الفتك به.

عودة إلى الملكة حور:

وبعد وصول الطبيب وبمجرد أن وقعت عيناه عليها، وقف عاجزًا عن فهم كيف وصلت هذه الآثار إلى جسدها؟ ظل يسألها مرارًا وتكرارًا وهي تجيب إنها الأفاعي والحيات والعقارب. وكان كلامها منطقيًا؛ لأنها بالفعل أثار عضات تتناسب مع ما تروي.

حدَّق الطبيب في الوصيفة بارتياب وقال: كيف حدث هذا؟ كيف دلفت تلك الكائنات إلى جناح الملكة؟ أين كُنتُم؟.

وقفت «كاريغما» عاجزة عن الإجابة على كل هذه التساؤلات، فهي لا تعلم كيف دخلت؟ وعندما دخلت المخدع لم تجد أيا منها.

وأخيرًا نطقت بكلمات تبرز عجزها التام عن التبرير وقالت: لا أعلم، أنا في حيرة من أمري، عندما دلفت لم يكن هناك شيء، ولكنها كانت تصرخ بشدة، وكانت حركات جسدها كأنها تحاول الهرب من شيء، ولكنه كان غير مرئي لي، ثم ظهرت تلك العلامات على جسدها.

وقف الطبيب وقد ازدادت حيرته ثم قال: استدعي كاهن القصر في الحال.

أمضى شيشنق أيامًا عديدة يبحث عن غايته ويتتبع نسل عائلته عبر الأزمنة، ويكتشف ماحدث لهم جرّاء فعلته، وبرغم ما شاهده، لم يثنه هذا عن المضي قدمًا في مخططه، لقد أحرقت تلك النيران كل ذرة بداخله تحمل أي مشاعرغير مشاعر الانتقام والكره الشديد، وأتت على إنسانيته، ولَم يبق سوى الوحش الكاسر الذي تحول إليه؛ فأصبح كالبركان

الذي يدخل على قرية فيزيل الأخضر واليابس ويمحيها من على وجه الأرض.

ظل شيشنق هكذا حتى علم مخطط عائلته الذي انهمكوا في تنفيذه عبر الأجيال، وعلم أيضًا بشأن كتاب اللعنة الذي وضعوه؛ ليكون منقذهم ووسيلة نجاتهم، حتى أنه حاول كثيرًا الاستيلاء عليه ولكن الكتاب كان محميًا بحصون قوية، لم يستطع اختراقها؛ لذا وضع خطة للحصول عليه وبدأ في تنفيذها.

الفصل التاسع

عبر شيشنق إلى عدة أزمنة في رحلة بحث طويلة، وعندما وصل إلى مُبتغاه عاد مرة أخرى ولكن لم يكن بمفرده، بل ومعه الوسيلة التي ستجعل زين يأتي إليه راكعًا، وحينها سيحقق انتقامه، لقد استطاع الاستيلاء على ما سيدمر كل مخططات تلك السلالة الملعونة لقد سرق أملهم الوحيد للتخلص من تلك اللعنة الأبدية.

دلف شيشنق إلى القصر المشئوم الذي نُحرت به حبيبته وولده، وهو يحمل على كتفه فتاة شابة يبدو من هيئتها أنها ليست من هذا العصر. اتجه مباشرة صوْب غرفة النوم ليضعها بالفراش، ثم وقف يُحدِّق بها وهو شارد الذهن، كانت الفتاة فاقدة الوعي، ويبدو أنها لن تستعيده قبل ساعات؛ لذا غادر شيشنق الغرفة وقام بجمع كل الحاشية المتواجدة بالقصر وأمرهم بالرحيل، ثم غادر هو أيضًا ليعود بعد بُرْهة من الزمن ومعه امرأة عجوز بكماء، كانت تعمل لديه في السابق، والآن هي الوحيدة المسموح لها بالتواجد بالقصر، وإحضار كل ما يلزم تلك الفتاة.

أما في القصر الملكي كانت حالة الملكة حور تسوء كل ليلة عن ذي قبل، احتار الطبيب والكاهن في حالتها، وأصبح الكاهن على يقين أنها قد وقعت تحت تأثير السحر الأسود، وأن هناك من يعبث بعقلها، كان لديه شعور داخلي بأنه الملك؛ لذا قام بجمع جميع الكهنة الموالين

للأسرة الفرعونية، وللملك الراحل بسوسنس الثاني والذين لا يتبعون الكاهن الأعظم وأخبرهم بما حدث للملكة حور؛ حتى يستطيعوا إنقاذها قبل فوات الأوان.

مكث شيشنق في القصر ينتظر أن تستعيد الفتاة وعيها، وبالفعل وبعد ساعات قليلة، بدأت تستيقظ من إغماءتها وبمجرد أن فتحت عينيها ونظرت حولها، شعرت بالصدمة والخوف الشديدين، وكأن أطرافها قد شُلت من هوْل ما رأت؛ تلك الغرفة التي تبدو كأنها من العصور الفرعونية، وهذا الرجل الذي يقف بملابسه الغريبة يُحدِّق بها، ومن هيئته شعرت كأنها وضعت في متحف يخص قدماء المصريين.

حاولت الفتاة التحدث ولكنها شعرت أن حلقها جاف كالصحراء القاحلة والكلمات لا تريد الخروج من حنجرتها، كأنها قد حُبست في الداخل. ثم سمعت صوته الأجش القوي وهو يقول: أنتِ زينة؟.

تجمدت الدماء في عروقها، حاولت أن تتحدث ولكن دون فائدة، فحرّكت رأسها علامة الإيجاب.

تقدم نحوها وجلس في مواجهتها على الفراش وقال: هل تعلمين من أنا؟.

كان الرعب قد تملك منها تمامًا فلم تستطع حتى أن تجيب، فأضاف بعدم اكتراث قائلاً: أنا شيشنق ملك مصر.

حدَّقت به زينة في دهشة شديدة، ثم بدأت الكلمات تخرج مبعثرة من فمها: مصر.... ملك.... شيشنق... كيف... فاروق.

فصاح بها وقال: عمَّ تتحدثين؟.

فأجابت بسرعة من شدة الخوف: كيف وأين الملك فاروق؟.

ضحك شيشنق ضحكة بثت في قلبها الرعب وقال: هل تعلمين في أي عام نحن؟

فعادت حركة رأسها ولكن هذه المرة بالنفي.

فقال: عندما تجولت في أزمنتكم علمت أننا في العام ٩٤٠ ق.م هكذا يقول تاريخكم.

صمتت زينة عن الكلام، لم يعد عقلها يستطيع استيعاب ما يحدث، من هذا الرجل؟ وأين هي؟ وما هذه المزحة السخيفة؟ وما هذا المكان؟، ظلت تلك الأسئلة تدور في رأسها بشدة، حتى شعرت بدوار شديد وعدم القدرة على تحمل ما تراه، وغابت عن الوعي ثانيةً.

وقف شيشنق ينظر إليها في ضيق شديد؛ فهو لا يملك الوقت ولا سِعَة الصدر لكل ذلك الهُراء، يجب عليه أن يجد حلاً سريعًا، وأثناء ذلك لاح أمام ذهنه ما سيخلصه من كل هذا وقرر أن ينفذه فور أن تستعيد وعيها والذي يجب أن يكون الآن؛ ولذلك لم يكترث وهو يسكب كأس الماء على وجهها، ويشاهدها وهي تنتفض من الصدمة، وتحاول أن تتنفس بعد اختنقت أنفاسها بالمياه، وبمجرد أن استعادت وعيها، وعادت إلى الواقع، وأيقنت أنها لم تكن تحْلُم، حاولت الصراخ ولكن شيشنق وضع يده على فمها، وحدَّق في عينيها وبدأ يتمتم ببعض الكلمات لها وهي بدون وعي تردد خلفه كأنها تحت تأثير السحر، ظل يتلاعب بعقلها

وذاكرتها، حتى استطاع أن يمحو كل ما تعرفه، ويُسطِّر لها ذكريات جديدة، فباتت لا تتذكر شيئًا سوى أنها تعيش معه منذ ولادتها، وأنه يحميها من خطر كبير يحيط بها، وأنها لا يجب أن تغادر هذا القصر أبدًا، وألا تقابل بشرًا غيره هو والسيدة العجوز البكماء.

أنهى شيشنق مهمته على أكمل وجه، ثم تركها وغادر متجهًا إلى قصر الحكم ليرى ماذا حدث مع حور؟.

عودة إلى الملكة حور التي تمكث في مخدعها ولا تحاول الخروج منه خوفًا ورعبًا من كل شيء، لقد أصبحت الكوابيس والخيالات لا تفارقها، وتزداد كل يوم، فتبدل حالها وأصبح جسدها كالمومياء لاحياة به، فقط مجرد هيكل ممتلئ بالخدوش والجروح وآثار كثيرة لأشياء لا حصر لها.

كانت حور تجلس في فراشها منكمشة على نفسها، ترتعد حتى من أن تضع قدمها على الأرض حتى لا تجد من يجذبها من أسفل السرير، أو تخسف بها الأرض لتجد نفسها في أسفل السافلين، ظلت هكذا تجلس وهي تضم قدميها إلى صدرها وتخفي وجهها بينهما، ثم ترفعه قليلاً لتطوف بعينيها في أرجاء المخدع تترقب أي شيء قادم لها، استمرت هكذا حتى فوجئت بدماء تسيل على الجدران ببطء ثم أصبحت تتدفق بغزارة شديدة، قفزت من مكانها تقف فوق الفراش وهي تشعرأن الدماء تعلو عن الأرض وفي طريقها لتصل إليها، ثم سمعت صوت صرير حاد، فالتفتت لتجد الجدران تتحرك وتقترب منها والغرفة بدأت تصغر وتضيق، ذعرت حور من أن تطبق الجدران عليها وتطحن عظامها، فوثبت مرة

أخرى من على الفراش وهرعت باتجاه الباب غيرعابئة بالدماء المحيطة بها.

وعندما وصلت إلى الباب أمسكت المقبض الحديدي تديره بخوف شديد من أن يكون مغلقًا من الخارج، وبمجرد سماعها صوت القفل يفتح تنفست الصعداء وهمَّت بالخروج لتجد نفسها أمام كائنين مخيفين لم تَر لهما مثيلاً من قبل مرابضين أمام الباب، وحوش بأنياب حادة كبيرة كأنياب الذئاب ولكن أضخم، وعيون حمراء واسعة، رأساهما كرأس الشيطان، وآذانهما مدببة ومرتفعة لأعلى، لهما أجنحة كبيرة، وجسديهما كأجسام الأسود الجبلية بلون أسود مخيف.

وقفت حور تُحدِّق بهما بخوف شديد وهي تتراجع للخلف، والوحشان يتقدمان باتجاهها والجدران تقترب منها، ظلت تلتفت حولها تحاول أن تبحث عن مهرب لها ولكن لا سبيل لذلك، لقد أصبحت محاطة والموت قادم من كل اتجاه فقط عليها أن تختار الطريقة المناسبة، فلا يوجد خلاص لها اليوم، وفِي لحظة متسرعة اختارت الوسيلة التى تفضلها، فجالت بعينيها حتى رأت ما تبحث عنه يلمع أمامها على المنضدة، فالتقطته سريعًا.

كان شيشنق قد أصبح في قصر الحكم واتجه مباشرة إلى غرفة حور ليجد أبوابها مفتوحة على مصراعيها، واثنان من الحراس يحاولان الدخول لمساعدة الملكة ولكن يبدو من هيئتها أنها في رعب شديد منهما، تحاول الهروب وتتراجع إلى الخلف، اقترب شيشنق وهمّ بالدخول إلى

المخدع والتقت عيناه بعيني حور، التي بدورها رفعت السكين الذي وجدته على المنضدة إلى رقبتها ونظرت في عين زوجها وهي تهمس له لقد أحببتك ثم قامت بنحر عنقها، وسقط جسدها مسجي على الأرض.

وقف شيشنق ينظر لجسدها وهو ينتفض والدماء تتفجر من رقبتها حتى سكنت روحها وسكن الجسد فقال: أخيرًا رأيت انتقامي، وجعلتك تشهدي موتك بيديك وبنفس الطريقة، ولتعلمي أني قد كنت أحبك ولكن ما اقترفتيه لا يغتفر، وأني لن أغفر لكِ ولتلعن روحك حتى أبد الآبدين، قال كلماته ثم تركها وغادر بدون حتى أن يهتم بأن يصدر أمرًا بتحضير جثمانها لرحلتها الأخيرة.

مرت أيام على موت الملكة حور، قام فيها الكهنة وعلى رأسهم الكاهن الأكبر بتحضير جثمانها لرحلته ووضعه في المقبرة الملكية في غرفة الدفن الخاصة بالأسرة الحادية والعشرين، بجوار والدها الملك بسوسنس، كل ذلك في غياب زوجها مما أدى إلى استياء الرعية، وتيقن الكهنة أنه الفاعل لما كان يحدث لها، وبدأ تحالف بينهم على الإطاحة بشيشنق.

أما هو فقد كان هائمًا على وجهه عدة أيام لا يعبأ بشيء ولا حتى بملكه، ثم عاد أخيرًا إلى بيت محبوبته الذي تركته ورحلت وبقى هو عالقًا في ذكراها لا يقوى على النسيان ولا الغفران، دلف إلى حديقة القصر وبمجرد دخوله شعر بشيء غريب، بأنه كان هناك حضور لشيء ما، روح ضالة ليس لها مكان هنا، روح قد تكون نفس الروح التي يبحث عنها، هرع شيشنق إلى زينة ليعلم ماذا حدث؟ ولكنها أنكرت حدوث

أي شيء غريب، ولكنه يعلم أن شعوره صحيح، وأن زين بدأ يقترب من الفخ المنصوب له بإحكام. وهنا علم أن لقاءه بغريمه سيحل قريبًا؛ لذا بدأ يتأهب له.

الفصل العاشر

عقد كاهن القصر اجتماعًا سريًا مع الكهنة المعادين للملك شيشنق في قصره ودار الحوار حول كيفية القضاء عليه قبل أن ينتشر الخراب وتسقط البلاد بسبب استخدامه للسحر الأسود، وأثناء انشغالهم بالحديث وجدوا الكاهن الأكبر يقتحم عليهم المكان هو وأتباعه.

هبَّ الكهنة من أماكنهم وتوقعوا أن يغدر بهم، ولكن الكاهن الأكبر خالف توقعاتهم وجلس ثم أشار لهم جميعًا بالجلوس وبدأ بالحديث قائلاً:

هل توصلتم لحل؟

صمت الجميع وتبادلوا النظرات حتى تحدث كاهن القصر قائلاً: عن أي حل تتحدث؟.

فأجابه: عن كيفية القضاء على الملك، هل تعتقد أني لا أعلم؟

شعر الكاهن بسخط كبير فأجاب: نعم، نحن نبحث عن وسيلة للقضاء عليه، ألم تشاهد ما فعل؟ ألا تعلم ماذا سيحل بِنَا من خراب جرَّاء فعلته؟.

نظر له الكاهن الأعظم وقال: إني أعلم كل هذا ولذلك جئت، يجب أن نتحد سويًا لنستطيع التغلب عليه.

هبَّ كاهن القصر من مقعده وصرخ قائلاً: ويْحك.. أي مكيدة تُحِيكَها لنا.

فأجاب الكاهن بهدوء شديد: وما المكيدة في هذا؟.

فهتف كاهن القصر بغضب: وهل يعقل أن يتحد الرجل مع من يسعون لقتل ولده؟.

أطرق الكاهن الأعظم رأسه بحزن شديد وقال : في تلك الحالة نعم يعقل، استمعوا إلىّ جميعًا جيدًا، نعم هو ولدي ولكني لن أتوانى عن قتله، لأن بقاءه حيًا يعني هلاكنا جميعًا؛ لذا فلنتحد سويًا؛ لأنه أصبح الآن يملك قوى لا يستطيع ألف رجل أن يضاهيها.

تمر الأيام متلاحقة على الجميع، كلٌ يحاول أن يصل لمبتغاه، شيشنق ينتظر أن يلتقط زين الطعم ويسقط في الفخ، وزينة بدأت تتعلق بما يحدث لها من تغيير، وزين يحاول بشدة معرفة كيفية الوصول لها؟ أما الكهنة فهم يعدّون العدة حتى اللحظة المناسبة للقضاء على الملك .

إلى أن مرَّ شهر وفِي تلك الليلة استطاع زين النفاذ لزينة من خلال أحلامها ثم من المرايا، ولكن شيشنق لم يمهلهما تلك اللحظة طويلاً، لقد كان يراقب زينة دائمًا ويتابع كل ما يحدث بدون علمها، وبمجرد رؤيته لزين عبر المرآة قام بتحطيمها حتى لا يستطيع أن يصل لها ويهربا سويًا، بل هو يريده أن يأتي إليه؛ لذلك كان يضعها تحت المراقبة الدائمة، حتى أنه قام بتحصين البيت حتى لا يستطيع زين تحديد مكانها.

غادر شيشنق بعد أن قام بكسر المرآة وتهديد زينة، رحل وتركها حزينة

تبكي حالها، مشاعر حزن وفزع وارتياب ويأس كل هذا أصبح يحاوطها، لم يعد لديها تفسير لأي شيء، لم تعد تلك الأحـداث منطقية لها، يتملّكها إحساس أن هناك شيئًا تفتقده، نعم ليس لديها أي ذكرى سوى هذا القصر، ولكنها على يقين بداخلها أنها كانت تمتلك العديد من الذكريات، وأن هناك من يهتم لأمرها ولكنها فقط لا تستطيع أن تتذكره.

نهضت زينة بعد ذهـاب شيشنق عن الأرض وتدثرت في فراشها، واستسلمت للبكاء حتى غلبها النعاس من شدة التعب، وأثناء النوم فتحت عيونها فوجدت نفسها في حديقة القصر تقف أمام الأزهار البيضاء التي تحبها كثيرًا، ثم سمعت صوتًا قادمًا من الخلف فالتفتت لتجد زينًا يقف أمامها، هو نفسه بكامل هيئته، شعرت بالدهشة الشديدة فتحدثت والكلمات تتلعثم على شفتيها: كيف؟... كيف جئت؟... ماذا يحدث لي؟.

تأملها زين وتحدث قائلاً: أنا هنا في أحلامك، هذا حُلم يا زينة، تلك الطريقة الوحيدة التي أستطيع أن أصل بها إليكِ، لا أعلم مكانك ولا في أي زمن أنتِ، إني أبحث عنكِ كثيرًا ولكن حولك ضباب، لا يمكنني من معرفة أي شيء، أحاول كثيرًا اختراقه ولكن لا أستطيع، ساعديني أرجوكِ.

نظرت له بخيبة أمل وقالت: إذًا أنت لست حقيقة، أنت مجرد وهم في خيالي لا وجود لك.

فأجابها بلهفة: لا يا زينة، أنا لست خيالاً، أنا حقيقة، وهذا الحُلم واقع، أنا فقط لا أستطيع العبور إليكِ إلا من خلاله، كل ما يحدث الآن يحدث بالفعل، كل كلماتي حقيقة، ولكنها من خلال حُلم يراودك في نومك،

تلك هي الوسيلة الوحيدة لي الآن إلى أن أَجد وسيلة أخرى.

شعرت بالراحة وتمنت من داخلها أن لا ينتهي هذا الحُلم، وأن يظل معها دائمًا ثم قطع زين شرودها وقال: يجب أن تساعديني حتى أعلم كيف أصل إليكِ؟ أخبريني أين أنت؟، في أي زمن؟.

صمتت والحزن باديًا على وجهها ثم قالت: لا أعلم، لا أعلم أي شيء خارج جدران هذا القصر، لا أعلم أين أنا، ولا في أي زمن، أنا لا أعلم أي شيء في الحياة سوى هذا القصر، أشعر أنه كان لي حياة أخرى، ولكني لا أتذكر أي شيء عنها.

شعر زين بالحنق الشديد فالأمور تزداد تعقيدًا وقال: كيف هذا ألا تتذكرين أهلك... أمك وأباك... ألا تتذكرين بيتك.. أصدقاءك؟

أجابته بحركة من رأسها تنفي بها كل هذا.

فسألها: مع من تعيشين في هذا القصر؟

ارتبكت فمجرد أن يذكر اسمه الآن يتملكها ذعر شديد، شعر بارتجافها وخوفها فقال لها: لا تخافي، هذا المكان الوحيد الذي ليس لأحد سلطان عليه سواكِ، لن يستطيع أحد أن يتلصص علينا فيه.

فاطمأنت زينة قليلاً ثم قالت كلمة واحدة: شيشنق.

هوْل المفاجأة جعلته ينتفض، كيف؟ ومتى؟ وأين؟ استطاع أن يصل إليها، لم يكن هذا في الحسبان، كيف علم بأمرها؟، أسئلة كثيرة اجتاحته وجعلته يفقد تركيزه ثم اختفى فجأة كما ظهر فجأة، تلاشى تمامًا كأنه

كان مجرد خيال من الوهم، ومع رحيله شهقت زينة شهقة كبيرة أيقظتها من نومها.

أما عند زين، فقد هرع إلى والدته وهو يصرخ قائلاً: أمي... لقد استطاع الوصول إليها... لقد ضاعت... لقد ضاعت زينة للأبد... إنها لدى شيشنق... وهو يحجبها عني... لا أستطيع معرفة مكانها، أو حتى في أي زمن هي.

أشفقت والدته عليه وقد علمت أن لحظة المواجهة قد حانت، وأن ما كانت تتمنى أن لا يحدث، أصبح لا مفر منه.

كان يقف في منتصف الغرفة يشعر بيأس شديد، يود لو يستطيع أن يفعل أي شيء لإنقاذها، يكاد أن يحطم الأرضية الخشبية التي تحت قدميه من شدة الطرق عليها، إلي أن انتبه لصوت أمه غالية وهي تقول: لم يعد أمامنا سوى أن نفعل ما حذرنا منه.. ليس هناك سبيل آخر... إما هذا أو الموت.

تأملها زين بتعجب وقال: عمّ تتحدثين؟.

فأجابته: يجب أن تفعل ما فعله شيشنق، حتى تستطيع مواجهته.

شعر زين بالدهشة وقال: كيف هذا يا أمي؟

ألم تقولي أن فيه هلاكنا؟

فأجابته: لواُستخدم في الشر، ولكنك ستدفع به الشر والأذى عنا، لم يعد هناك وقت، يجب علينا التنفيذ، هيا لنمضي وفِي الطريق سأشرح لك.

غادر زين البيت مع والدته وتوجها سويًا إلى المقابر الخاصة بالأمازيغ،

وبمجرد اجتيازه البوابة شعر برهبة شديدة وهو يسير معها وسط الأضرحة، رهبة لم يعهدها في نفسه من قبل حتى أثناء زيارته قبر والده، وبدأت القُشعريرة تسري في جسده ثم تلاها برودة شديدة في كل أوصاله.

كانت غالية تعرف وجهتها جيدًا، فراحت تشق طريقها يتبعها زين في صمتٍ شديد، ظلت تمر بين الأضرحة تارة تتجه يمينًا وتارة أخرى شمالاً، حتى وصلت لمبتغاها، وتوقفت أمام بوابة كبيرة من الحديد عليها متاريس يصعب فتحها، إلا بمفتاح مميز الشكل، لا يستطيع أحد من هذا الزمن صنعه.

أخرجت المفتاح وتأكدت أن لا أحد يراهما ثم فتحت البوابة، وانسلت للداخل مع ولدها وأغلقت البوابة جيدًا.

دلف زين وهو في دهشة مما يرى أمامه، قاعة كبيرة، نُقشت على جدرانها نقوش كثيرة ومختلفة لا تخص زمنًا واحدًا، بل لعدة أزمنة، وفي أسفل الجدران فتحات كثيرة وبداخل كل واحدة نعش به جثمان، محفور تحت كل جثمان اسم صاحبه، وقف زين يقرأ الأسماء واحدا تلو الآخر فوجد أنهم جميعًا سلالة واحدة وهي عائلة والدته.

طاف بعينيه في المكان وقال: هل هذه مقبرة عائلتك؟.

فأجابته غالية: ليست كل عائلتي، هذه مقبرة المميزين فيها، فنحن دائمًا نقوم بتحنيط ودفن أصحاب القوى في مقبرة خاصة بهم سرية، لا يستطيع أحد الوصول اليها ولا فتحها إلا بمفتاح خاص، لا يوجد له مثيل

على الكوكب كله، تلك المقبرة لا يراها أحد سوانا، ولا يستطيع أي بشري عادى دخولها، لو صادف أن دخل أحدهم يحترق قبل أن يعبر البوابة.

صمت زين وظل يحدق بالمكان وهو يشعر بشعور غريب يراوده منذ دخوله، ثم قال لوالدته: هل هناك مكان آخر في تلك المقبرة غير تلك القاعة؟.

نظرت له والدته باستغراب وقالت: لماذا تقول هذا؟.

فأجابها زين وهو ما زال يُحدِّق في المكان ويتفحصه ببصره: أشعر بوجود شيء هنا، كيان مختلف عن كل تلك النعوش، شيء أكبر وأقوى، كيان لا أستطيع النفاذ إليه، ولكنه موجود هنا، ولكن كل ما أستطيع قوله أنه كيان حي، لم يمت.

جحظت عينا والدته، ودب الرعب في قلبها وقالت: هل تستطيع تحديد موقعه؟.

أسكت زين جميع حواسه ما عدا حاسة واحدة، أغمض عينيه، وانتصبت أذناه، وبدأت قواه تبحث عما يريد، ثم فجأة أشار بيديه إلى جدار في أقصى الغرفة وقال: يوجد شيء خلف هذا الجدار، شيء قوي، مخيف، شيء ليس من عالمنا.

نظرت غالية للجدار وشعرت أن قدميها لم تعد تستطيع حملها، وتجمدت أطرافها من الخوف، فتحاملت على نفسها وهرعت نحو دُرج صغير سري في الجدار، وأخرجت منه لفافة من الجلد، وأشارت لولدها أن يتبعها للخارج سريعًا.

حاول زين إيقاف والدته حتى يرى ماذا يوجد خلف الجدار؟، ولكنها لم تترك له المجال لذلك، وبحركة واحدة من يدها أطاحت به خارج المقبرة فأوقعته أرضًا، ثم حاولت الخروج خلفه مسرعة والهروب مما قد يحدث ولكن.....

الفصل الحادي عشر

ولكن لم يسعفها الوقت وأثناء محاولتها الخروج وجدت رياحًا قوية تدفعها للداخل مرة أخرى، وتطرحها أرضًا، نظرت غالية إلى زين بالخارج وشعرت أن هناك من يحاول منعها مما تنوي فعله، حاولت مرارًا أن تنهض ولكن قدميها مثبتتين في الأرض كأنهما التصقتا بها، وبمجرد أن وقعت عيناها على ولدها وشاهدته ينهض ويحاول العودة إليها مرة أخرى، صرخت بكل قوتها قائلة: لا، لا تفعل، إن عدت سنهلك سويًا، ثم قامت بإخراج اللفافة التي بها العظام ووضعت بها المفتاح وقذفتها خارج القاعة لتقع عند قدميه.

التقط زين اللفافة ثم قال: ماذا تريدين مني أن أفعل؟.

نظرت له والدته والدموع حبيسة مقلتيها، تحاول أن تسيطرعليها وتمنعها من النزول ثم قالت له: ارحل، ارحل يا بني سريعًا، لا تنظر خلفك، فقط ارحل.

حدَّق بها وهو في حالة من الذهول شديدة وصرخ ببكاء: ماذا تقولين يا غالية؟، يا غاليتي، أتريدين أن أرحل؟، أرحل عنكِ، كيف هذا؟، كيف أتركك يا أمي؟.

كانت الرياح تعصف بشدة ولا تترك أي شيء في طريقها، حتى زين كان يحاول أن يتشبث بأي شيء حوله، حتى لا تقذفه الرياح بعيدًا، كان يريد

الوصول لوالدته ولكنه لم يستطع، كلما حاول دفع قدمه خطوة واحدة للأمام، قذفته الرياح خطوات للخلف.

تأملته أمه بحزن وقالت: بُني، لا تبتئس، لكل أجل كتاب، ارحل يا بني، ارحل سريعًا، لن تستطيع مساعدتي الآن، ولو انتظرت طويلاً هكذا، فأنت تحكم علينا بالموت، غادر سريعًا ونفذ ما اتفقنا عليه فقد تستطيع بعدها أن تعود لإنقاذي.

صرخ زين لتسمع أمه صوته الضائع وسط صوت الرياح العاتية وقال: كيف يا أمي؟، فأنا ما زلت أجهل الكثير.

فأجابته والغُصة تملأ قلبها: ستكتشف كل شيء تريده من الكتاب، ستجد ضالتك فيه، فقط ارحل الآن ولا تنظر خلفك، عِدْني يا بني أنك ستنزل السلام بتلك العائلة ولن تترك روح أمك هائمة، عدني بأنك لو عُدت ووجدتني قد فارقت الحياة أن تتماسك حتى تستطيع التغلب عليه، عِدْني يا بني.

نظر زين إلى والدته بحزن شديد وقال: أعدك يا أمي بأنك الروح والقلب والنفس التي لا أستطيع مفارقتها، أعدك أني سأعود لك لأجدك حية، أعدك أنك ستعودين إلى بيتك، وأعدك أن تلك اللعنة ستنتهي للأبد، أعدك يا غاليتي.

ظلت الأعين متشابكة في نظرات طويلة، كأن كلا منهما يعلم أنها لحظات الوداع الأخيرة، وتلك النظرات هي ما تبقى لهما.

شعرت غالية أن ولدها لن يستطيع مفارقتها بسهولة، فرفعت يدها

وقلبها يعتصر من الألم كانت تريد أن تبقي معه حتى النهاية، لا تريد أن تتركه وسط كل تلك الأهوال وحيدًا، ولكن مشيئة القدر فوق كل شيء؛ لذا تحاملت على نفسها وأشارت بيدها فأغلقت البوابة أمامه، وبعدها بلحظات سكنت الرياح تمامًا، وعاد كل شيء لطبيعته كأن شيئًا لم يكن.

هرع زين عائدًا مرة أخرى للمقبرة يحاول دخولها، وصل أمام البوابة وأخرج المفتاح وقبل أن يضعه، تذكر كلمات أمه: أن في هذا هلاكنا.

تراجع للخلف وهو ينظر للبوابة الكبيرة ويبكي، فتلك البوابة تفصله عن أحب الناس إلى قلبه، ثم عاد أدراجه إلى البيت وهو يركض كأنه يسابق الرياح حتى يتم مهمته ويعود لغاليته سريعًا.

ظلت غالية على الأرض، تنظر حولها بخوف، ثم حاولت النهوض مرة أخرى وفوجئت بأن قدميها أصبحت حرة، فنهضت سريعًا وحاولت أن تبتعد عن الجدار الذي أشار ابنها إليه، ولكن هَيْهات أن تفعل، فهناك ما يعيقها ويمنعها من ذلك، حاولت جاهدة أن تستطيع الحركة ولكن لا فائدة، بل وجدت نفسها تجذب إلى الخلف ولم يعد لها أي سيطرة على جسدها، حاولت كثيرًا التملص ولكن لا فائدة حركتها ضعيفة أمام تلك القوى، ظل جسدها يطفو للخلف حتى التصقت بالجدار المشئوم، ثم بدأت يدها ترتفع رغمًا عنها لتصل إلى فتحة به.

كل محاولاتها في المقاومة باءت بالفشل، لم تستطع سوى أن تبطئ حركة يدها قليلاً ولكنها لم تتوقف، كانت خائفة تشعر بالذعر الشديد، لا تعلم لو فُتح هذا الباب ماذا سيحدث؟، وأي هلاك سيحل بهم، لا

تعلم ماهية هذا الكيان، استمرت في حيرتها التي تزداد مع اقتراب يدها إلى الفتحة التي بالجدار ثم فجأة صرخت بكل قوة قائلة: أحفاد مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح، يا أقوى أجناس الأرض، أيتها الأرواح التائهة الموصومة بلعنة شيشنق الملعون، هبوا لنجدتي، أغيثوني قبل أن تفتح أبواب الجحيم، هبوا لنجدتي.

كان نداء غالية قويًا لم يحضر فقط أرواح الأموات التي نعوشها موجودة في القاعة، بل أحضرأرواحًا كثيرة من السلالة لا حصر لها، تزاحمت الأرواح حول غالية تحاول انتشالها عن الجدار، وعندما فشلوا، هتفت بهم قائلة: اعبروا الجدار، اكتشفوا ماذا يوجد خلفه؟ قوموا بإعاقة هذا الكيان اللعين حتى يفقد تركيزه، افعلوا قبل أن نهلك جميعًا.

عبرت أرواح كثيرة الجدار، تاركين القليل منهم في محاولات مستمرة لفك قيدها وإبطال هذا السحر اللعين، استمرت هي في المقاومة مع من تبقى معها حتى سمعت صوت صرخة قوية كادت أن تصم أذنيها مما جعلها تغطيها بيديها سريعًا لتحميها.

وما هي سوى لحظات حتى انتبهت أن يدها قد تحررت، فعلمت أنهم نجحوا في مسعاهم؛ لذا لم تحاول أضاعة المزيد من الوقت، يجب عليها أن تجد طريق آخر للخروج بخلاف تلك البوابة، قبل أن يعاود تلك الكيان فعلته، ظلت تبحث وتنقب عن أي فتحة في الجدران وفجأة ظهرت أمامها روحًا واعترضت طريقها، أمعنت غالية النظر جيداً حتى اكتشفت هويتها، كانت روح الجد، الذي كانت غالية بالنسبة له قطعة من فؤاده، والحفيدة المميزة القريبة لقلبه.

تمنت لو تستطيع معانقته وتقبيله كما كانت تفعل في صغرها، كم اشتاقت إليه؟ شردت مع ذكرياتها قليلاً إلي انتبهت إليه وهو يشير بسبابته في اتجاه نعش من النعوش الموضوعة في أسفل الجدران، اندهشت غالية وتوجهت إلى هذا النعش لتعرف ماهيته.

دلف زين إلى المنزل وأسرع إلى غرفة والدته ليحصل على الكتاب الذي كان في خزانة الملابس، وعندما وجده جلس على الفراش وحاول فتحه ولكنه صُدم فالكتاب يجب فتحه بكلمات معينة هو لا يملكها، وقف عاجزًا يخشى على والدته كثيرًا ويريد العودة إليها سريعًا، ولكن الكتاب يحول بينه وبين إنقاذها.

ظل يذرع الغرفة ذهابًا وإيابًا في محاولة منه للتفكيرفي حلٍ سريع، حتى توقف فجأة ولاح له في ذاكرته ذكرى قديمة له مع والدته، عندما كان يلعب في «جارور» صغير بداخل صندوق خشبي قديم وقامت والدته بنهره بشدة على فعلته، وعندما حاول أن يعلم ما بداخله أجابته قائلة، ستعلم كل شيء عندما يشتد عودك، ولكن تذكر ستجد كل ما تحتاج إليه في هذا الصندوق.

لا يعلم زين لما تذكر هذا الآن، ولكنه لم يفكر كثيرًا في السبب، كل ما يهتم به الآن هو أنه قد يجد الحل بداخله، مد يده إلي الخزانة الصغيرة التي بجوار الفراش فهو يعلم أن هذا الصندوق لا يفارق والدته، تضعه دائمًا بجوارها كأنها تحميه أو هو من يحميها.

أخرج الصندوق الخشبي من مخبئه ليجده مغلقًا بقُفلٍ صغيرله مفتاح

يعلم جيدًا مكانه، لقد رأى غالية أكثرمن مرة وهي تخفيه؛ لذا توجه إلى طرف الفراش المواجه للخزانة ومد يده، وأخرج المفتاح من مكانه السري ثم قام بفتح الصندوق ليجد بداخله الحُلي الخاص بوالدته ولكن كل ما كان يشغله هو هذا «الجارور» الصغير الذي قد يجد غايته بداخله.

قام زين بفتح الجاروربببطء وحذر شديدين، ولكنه وجده خاوياً لا يوجد شيء بداخله، حاول أن يتحسسه بأصابعه من الداخل لعل والدته تخفي شيئا ولكنه كان فارغاً تماما.

أخر خيط كان يتعلق به هو هذا الصندوق، والآن كل الخيوط قطعت ولَم يعد يملك شيئًا يساعده، دفع الصندوق على الفراش، ونهض بغضب شديد من سوء حظه العاثر، وأثناء ذلك شعر بحركة غريبة تصدر من الصندوق ثم دخانًا كثيفًا ينبعث منه، ومن بين الدخان ظهر رجل يقف أمامه حليق الرأس، يرتدي ملابس غريبة الشكل، ويقف عاقدًا ذراعيه على صدره، وجهه حاد كوجه العقاب، جسده ضخم كأنه جسد مصارع من بلاد الإغريق.

وقف زين يتفحصه وهو يشعر بالدهشة الشديدة ويتساءل من أين جاء؟، ومن هو؟، حتى سمع صوت الرجل قائلاً: من أنت؟، أين غالية؟.

زادت حيرة زين ودهشته فأجاب على أسئلته بسؤال قائلاً: بل من أنت؟، ومن أين جئت؟.

اندفع الرجل وأصبح أمام زين في لمح البصر وأجابه بصوت قوي مخيف: أنا مازر، أنا من سيسحق عظامك ويروى الأرض بدمائك، أنا من يستطيع

أن يسجنك في الأرض السفلية في لمح البصر، أنا من يستطيع أن يمحو أثرك من الوجود، أنا ملك الجان.

الفصل الثاني عشر

حدَّق زين في الرجل بدهشة شديدة وقال: ملك الجان، وما علاقة ملك الجان بصندوق الحُلي الخاص بأمي؟.

فأطلق مازر ضحكة مخيفة ثم قال: ألا ترى أنك حتى الآن لم تجب على أسئلتي، أين غالية؟.

شعور بالخِزي كان يحمله زين فوق كتفيه، إحساس بالضعف والخيبة يجتاحه، لم يقوَ علي تقبل فكرة أن يكون هو هنا ووالدته تضحي بحياتها من أجله هناك، أطرق رأسه بحزن شديد وقال: إنها حبيسة في المقبرة، ذهبنا سويًا ولكن هناك قوى حالت دون خروجها، وأنا الآن أريدك أن تساعدني حتى ننقذها قبل فوات الأوان.

ضيّق مازر عينيه ونظر له بريبة وقال: أساعدك!!، وهل أنا عبد لك؟ أنت ليس لك سلطانًا عليّ، بل أنا من له السلطان، أنا من أتحكم وأتجبر.

غمرت زين الآن الكثيرمن المشاعر التي لم يعد يقوى على احتمالها، الحزن، الخوف، الغضب، الضعف، أصبح بداخله الكثير والكثير من المشاحنات والتناقضات والاضطرابات التى باتت تتزاحم بداخله وتشعل الفتيل للانفجار، ظل صامتًا يحاول السيطرة علي كل هذا الغضب ولكنه انفجر أخيرًا قائلاً.: يجب عليَّ فتح هذا الكتاب ولا أعلم الكلمات

المناسبة، يجب عليك مساعدتي، يجب أن أعود إليها، لقد وعدتها بهذا، لا يفترض أن تموت الآن، لم يكن عليّ أن أرضخ لها وأتركها هناك بمفردها.

نظر له مازر وهو متشكك في أمره، وألقى نظرة أخرى على الكتاب وهو يبتسم بخبث، ثم اختفى كأنه لم يكن موجودًا تاركًا خلفه زين الذي أصبح على مقربة من حافة الهذيان.

وقف ينظر حوله في دهشة وحسرة، لا يعلم أين ذهب؟ ولا يعلم ماذا سيفعل الآن؟، كاد أن يجن لقد انقطعت كل السبل أمامه، لم يعد يدري كيف يتخلص من تلك اللعنة؟ ولا كيف يستطيع إنقاذ أمه؟ ولا حتى كيف يصل إلى زينة؟ ألغاز كثيرة مطالب بحلها ولكنه لا يملك العصا السحرية لفعل هذا.

حاول أن يجمع شتات نفسه فعاد مرة أخرى إلى الكتاب وظل يتفحصه جيدًا وهو يعصر ذهنه حتى يتذكر ماذا كانت أمه تقول أمامه؟ ولكن محاولته كانت بلا جدوى؛ لذا قرر أنه لا مزيد من تضييع الوقت وحمل اللفافة والكتاب وهمَّ بالخروج ليعود مرة أخرى إلى والدته لعلها تستطيع مساعدته، وبمجرد أن وطأت قدمه باب المنزل سمع صوتًا صادرًا من غرفة والدته، فهرع إليها ليجد مازر يقف أمامه عاقدًا ذراعيه على صدره وبمجرد أن وقعت عينيه على زين قال: لم يعد هناك الكثير من الوقت، غالية في خطر كبير، لو فُتح هذا الجدار ستكون نهايتها ونهايتك.

انتاب جسد زين القُشعريرة وقال بلهفة: هل رأيت أمي؟، هل ما زالت على قيد الحياة؟ هل هي بخير؟.

حَدَجه مازر بنظرات غاضبة وقال: إلى الآن، لكن لو أطلت في الثرثرة هكذا لن تبقى طويلاً.

حاول زين أن يتماسك حتى يستطيع المرور من هذا المأزق ثم قال: هل أخبرتك الكلمات المناسبة لفتح الكتاب؟.

فأجابه مازر: لا، لقد حاولت أن أقنع والدتك ولكنها رفضت تمامًا، وقالت أنك تعلم الكلمات جيدًا فقط تذكر ماذا كانت تخبرك به منذ الصغر؟.

استشاط زين من الغضب وقال: ولماذا لم تجبرها على إبلاغك؟ لم يعد هناك متسع من الوقت.

ابتسم مازر بسخرية شديدة: إنك أبله، لا أعلم كيف تعتقد غالية أنك ستنجح في فك اللعنة؟ فأنت لا تفقه شيئًا عن عالمنا ولاعن عالمكم، هذا الكتاب الذي بيديك ذو قوة كبيرة، كل العوالم تتمنى الحصول عليه، غالية تعلم أني لا أستطيع أن أحنث بوعدي لها وأستولي على الكتاب، لكنها أيضًا تعلم أنه بعد موتها لن يردعني أحد؛ لذلك لا تريد أن تخبرني، هذا الكتاب كنز كبير لمن يملكه، فلو سقط في قبضة أحد يستطيع أن يسيطر به على الأرض ومن عليها؛ لذا يجب أن تتذكر بمفردك، لقد قالت لي إنها كانت تردد تلك الكلمات على مسامعك منذ الصغر.

أنصت زين لكلمات ملك الجان جيداً، وبدأ يداعبه اليأس، فكل كلمة قالها حقيقية، هو ليس بأهل لتلك المهمة، ولا يفقه عنها شيئًا، هذه اللعنة التي اكتشفها منذ فترة قليلة والقوى التي لم يكن يعلم أنه يملكها هو وعائلته منذ آلاف السنين وتاريخ السلالة الذي يبدو كأنه قصة من

قصص الأساطير، حتى وقوفه الآن وحديثه مع ملك الجان كل هذا شيء لم يكن ليصدقه عقله قبل فترة وجيزة، والآن كل هذا يحدث له، وهو عالق في المنتصف لا يستطيع الخلاص إلا بأن يستمر حتى نهاية الطريق حتى لو كان الثمن هلاكه، ولكن يجب أن يستمر.

ظل زين يذرع الحجرة ذهابًا وإيابًا وهو يحمل الكتاب يحاول أن يتذكر ما الذي كانت والدته تردده دائمًا عليه، لقد شعر بالريبة بعد أن أستمع إلى كلمات مازر عن قيمة الكتاب ولا يريد المجازفة، فهو لم يعد يستطيع تحمل أي خسائر أخرى، ثم تذكر كلمات غالية له، لا يعلم هل هي المقصودة أم لا؟ ولكن يجب أن يحاول: (زين لزينة، وزينة لزين، لعنه مكتوبة على الجبين، قمر مبتور، وقلب مكسور، وكتاب من نور، وباسم المحظور بأمرك تفتح كل ما هو مقفول).

ألقى زين الكلمات فتحركت الأفاعي من على المتاريس وفتح الكتاب أخيرًا، ليقف في حيرة من أمره لا يعلم ما هي الخطوة التالية؟ ولكن يجب عليه التصرف سريعًا، لقد انقضى بالفعل الكثير من الوقت على والدته وهي حبيسة المقبرة، ولكن لا يجب أن يقوم بهذا أمام مازر.

أمسك الكتاب بحزم وضمه إلى صدره وأحاطه بذراعيه، ثم التفت إلى مازر وقال له: أرجوك أن تذهب إلى أمي، لا تتركها بمفردها إلى أن أعود لها، حاول أن تساعدها.

ابتسم مازر بسخرية وقد فهم ما يحاول فعله: أنت تريد أن ترسلني بعيدًا عن الكتاب، استمع إلي جيدًا أيها الأنسي أنا لن أحنث أبدًا بوعدي

لغالية، مهما كانت المغريات أمامي، أنا لم أنسَ لها ما فعلته لي؛ ولذا لن أعيد كلماتي، أنهى مازر حديثه واختفى مرة أخرى.

جلس زين على الفراش وفتح الكتاب، وظل يتصفح ورقاته والأرواح تهيم من حوله مع كل ورقة يراها، حتى استقر على واحدة مكتوبة باسم شيشنق الرابع، قرأ زين ما ورد فيها عن اللعنة وعن كيفية استخدام القوى في إيقافها، ثم وضع يده على الكلمات وفِي ثوانٍ معدودة ظهرله شبح شيشنق الرابع أمامه، ارتعد قليلاً ولكن كل ما يشغله الآن هو إنقاذ والدته وليس هناك أي وقت للخوف أو التردد.

اضطرب زين قليلاً ولكن وقف في مواجهة ذلك الشبح وقال: شيشنق مازال حيًا، أنه الآن لديه أملنا الوحيد في إزالة اللعنة، لقد استطاع الوصول لزينة وهي الآن حبيسة لديه، لا يوجد أي شيء آخر نستطيع ردعه به سوى أن أفعل ما فعل، يجب أن تساعدوني، ليس لدينا خيارًا آخر.

أشار الشبح إلى الكتاب فالتقطه زين بيده وبدأ شيشنق الرابع يشير له على صفحات محددة، كل واحدة كان يخرج منها صاحبها، حتى اجتمعت حول زين اثنتا عشرة روحًا من الكتاب، وبدأت الطقوس، ثم قام بإخراج اللفافة واكتشف أن عدد العظام بها اثنتا عشرة عظمة صغيرة؛ فأدرك أن العظام التي بيديه هي ملك للأرواح الملتفة حوله.

بدأ زين يفعل ما يُملى عليه، قام بطحن العظام جيدًا ثم وضعها داخل كأس يحتوي ماء الورد حتى منتصفه، وقام بتحريك الخليط ثم تجرعه

بالكامل وهو يشعر بالاشمئزاز الشديد ولكن لا يوجد سبيل آخر.

وبعد أن انتهى منه، ووقف لا يعلم ما التالي، ولكن سرعان ما وجد الأرواح تشكل دائرة حوله وتلتف بسرعة شديدة لدرجة شعر معها بالدوار، وفجأة وجد ضوءًا يسطع من هذا الدوران ويزداد شيئًا فشيئًا حتى صار كالشعاع المتوهّج الذي يُعمي الأبصار وبدأ في الارتفاع إلى أعلى.

ظل زين يقف في المنتصف كأنه وسط عاصفة شديدة تعصف بكل ما حولها، أو كإعصار يحطم كل ما يمر به، ولكنه يقف في المنطقة الآمنة يرى كل شيء من حوله يتدمر ولكن لا شيء يصل إليه، ثم فجأة تجمع كل الضوء في نقطة محددة وانعكس ليصبح زين في منطقة الخطر ويصيبه الضوء ويتخلل كل خلايا جسده، إلي أن توقف كل شيء، وتوقفت الأرواح عن الدوران تمامًا وبدأت في الاختفاء واحدة تلو الأخرى حتى اختفوا جميعًا ولَم يتبق سوى شيشنق الرابع الذي أشار بسبابته على الجدار، نظر زين فوجد كلمات مكتوبة على الجدار (تلك القوى يجب أن تسخر للخير، لو حاولت أن تستغلها بشكل خاطئ ستدمر الأرض كلها، وسنطاردك جميعًا، اقض على شيشنق ثم تنازل عن قوتك حتى تسلم) أنهى زين قراءة الكلمات ثم همَّ بالرد عليه ولكنه كان قد رحل أيضًا، اختفي تمامًا ولَم يعد له أثر، لم يعر اهتمامًا فكل ما يشغله الآن هو إنقاذ أمه؛ لذا حمل الكتاب وأعاده إلى مخبئه، ثم أخذ مفتاح المقبرة وهرع ليذهب إليها.

ولكن قبل أن يغادر البيت وجد مازر يعترض طريقه ويحاول منعه من الذهاب بشتي الطرق.

صاح زين غاضبًا وقال: ماذا تفعل؟ اتركني، يجب أن أعود إلى أمي.

ولكن مازر لم يتحرك وقال بنبرة تحمل الكثير من الحزن: لم تعد هناك.

ثار جنون زين وهو يستمع له، رافضًا تصديق ما يخبره به وظل يهذي بصراخ: لا، لا، أنت كاذب، لقد وعدتها أني سأعود، لقد أقسمت لها أني لن أتركها، كيف هذا؟ أين ذهبت؟، أين أمي؟.

فأجابه مازر وهو مطأطئ الرأس: لا أعلم بحثت عنها في المقبرة كلها لم أجدها، يبدو أنها أصبحت عالقة خلف الجدار، حاولت اختراقه ولكن لم يسمح لي.

ظل زين يصرخ بشدة مناديًا غالية وهو لا يريد تصديق أنها ذهبت إلى الأبد، ثم هرع مرة أخرى إلى الباب؛ ليبحث عنها بنفسه حتى ولو خلف الجدار، لن يمنعه شيء من البحث عن والدته، حتى لو هلك ولكن لن يتركها لقد وعدها بذلك، لا يستطيع أن يفعل لن يتقبل خسارتها، وبمجرد أن فتح باب البيت ليغادر وجد أمامه من لم يتوقعه، وقف مصدومًا فاغرًا فاه ثم أخيرًا قال: أنت.. كيف هذا؟.....

الفصل الثالث عشر

ظل شيشنق هائمًا على وجهه عدة أيام بعد أن حطم المرآة، كان يشعر بمرارة شديدة لا تزول مع الوقت، فقده لتيرا وولده، لم يفقده فقط عقله ولكن أفقده إنسانيته أيضًا، لم يعد يملك سوى الحقد والغضب الشديد، كان يشعر بأنه لا ينتمي إلى أي مكان، لم يعد يشتهي شيئًا، لم يعد يملك من أمره شيئًا، كورقة الشجر الذابلة التي سقطت من الغصن وتلقفها الهواء ليعبث بها ويتركها للرياح لتظل تائهة ضائعة، لا تجد لها ملجأ، ظل هكذا يتجول لا يعلم وجهته، حتى انتهى به الأمر في المقبرة، دلف إليها ثم عبر الجدار ليصل إلى المعبد حتى يختلي بنفسه بعيدًا عن الجميع، ألقي بجسده على درجات المعبد، ووضع رأسه بين كفيه، يحاول أن يفكر في طريقة يصل بها إلى زين في أسرع وقت، ظل شاردًا تائهًا عمّا حوله، حواسه القوية غابت مع غياب عقله بسبب رغبة الانتقام المسيطرة عليه؛ لذا لم ينتبه أن هناك من يتربص به وينتظر اللحظة المناسبة للانقضاض عليه، أدرك ذلك عندما وجد نفسه مقيدًا بشبكة من حديد، تعتصر جسده وتمنعه من الحركة، حاول التخلص منها ولكنها كانت محصنة بتعاويذ قوية، تقيد قوته وتضعفه، ظل يترنح ويسقط وهو يحاول تمزيقها، وأثناء ذلك وجد نفسه محاطًا مرة أخرى

بالكهنة ومعهم ووالده، نظر شيشنق بأسى لأبيه وقال: ماذا ستفعل أيها الكاهن الأعظم؟، هل ستقتل ولدك؟، هل ستقتل ملك البلاد؟.

شعر الكاهن بوخز شديد في قلبه، ود لو يستطيع أن يحرر ابنه ويحتضنه ولكنه يعلم جيدًا أنه لن يتراجع، وهو لن يستطيع أن يتحمل مسئولية هلاك الجميع بسبب شيشنق، فأجابه بعد صراع طويل مع النفس: وهل أتركك تقتل الجميع؟ لقد تملَّكك شيطانك وصرت وحشًا لا تملك أي رحمة ولا شفقة، أهملت رعيتك، تنصلت من أعرافنا وقوانينا، ألقيت بكل شيء حتى تنتقم، لم يعد أي شيء ولا أي شخص له أهمية لديك.

أطلق شيشنق صيحة قوية وقال: أي رحمة وشفقة تتحدث عنها، وهل ما حدث لزوجتي وولدي به رحمة وشفقة؟ ماذا تريدني أن أفعل بعد أن أمسكت برأس ولدي بين يدي وهي مفصولة عن جسده؟ ولدي الذي كان مصدر سعادتي، لم أكن أستطيع أن يمضي يوم بدون رؤيته، والآن كيف سأحيا بدونه، وتيرا زوجتي... حبيبتي.. كانت دائمًا تخبرني بخوفها من أن تعلم حور بأمر زواجنا... ولكني دائمًا كنت أقنعها بأني سأحميها... أين حمايتي؟.. ماذا فعلت لها؟... تركتها تموت هي وولدها بلا رحمة... أي انتقام تتكلم عنه أبي!!!... وأي رعية!!!... وأي قوانين!!!.... بعد تيرا وولدي انقلبت كل القوانين والموازين.

استمع الكاهن لولده وقلبه يكاد يُشطرنصفين من حجم الكارثة التى حلّت بهم، هو يعلم أن تلك الفاجعة قد حطّمته تمامًا، ولكن ليس لديه خيارًا آخر فقال بحزن: إذن لن تتراجع.

لاااااااااااااااااااا..... أطلقها شيشنق مدوية، لن أتراجع أبـدًا، ولن تستطيعوا ردعي طويلاً.

فأردف والده قائلاً: لم تترك لي خيارًا آخر.

ثم أشار إلى تابعيه، فتقدموا حاملين تابوت، بمجرد أن وقعت عين شيشنق عليه علم ما ينوى والده فعله، فهاج وظل يصرخ وهو يحاول أن يتخلص من القيد: لاااا، لن تفعل، لن تجرؤ، حتى لو وضعتني به سأتحرر، لن يقوى أحد على قهري.

وضع الكهنة التابوت في منتصف القاعة حيث رُسم أسفل التابوت وأعلاه نقوش ورموز قوية جدًا لم يتم استخدامها من قبل، فهذا العقاب لم يعاقب به أي أحد، عقاب أبدي في تابوت لا يستطيع أي شخص فتحه بسهولة محصن برموز وتعاويذ من الصعب كسرها.

ثم حمل الكهنة شيشنق لوضعه في التابوت وهو يقاوم ويصرخ، وبالفعل نال من البعض واستطاع إسقاطهم ولكن لم يستطع أن يقضي عليهم جميعًا، ثم قاموا بإلقائه فيه وهو يصيح قائلاً: سأعود... سأعود وسيكون انتقامي أشد، لن يستطيع أحد أن يهزمني.. ستري يا أبي، ستري ماذا ابنك بفاعل؟.

التف الكهنة حوله في انتظار إشارة الكاهن الأكبر، الذي كان يحاول إخفاء عبراته المتساقطة، ثم قام بإلقاء نظرة أخيرة على ولده وهو يحدث نفسه قائلاً: لعل الرب يشفي روحك في هذا العقاب، وداعًا يا ولدي، اغفر لي.

ثم رفع يده لأعلى إشارة للكهنة لغلق التابوت الملعون، إغلاقًا أبديًا، وبعدها أمر الكهنة بغلق المعبد تمامًا، لا يُسمح لأي شخص بدخوله مرة أخرى، كأنه لم يكن، ولا يجب أن تعلم الأجيال القادمة عنه شيئًا، حتى لا يقوم أي متطفل بتحريره.

عودة للأحداث السابقة في الزمن الحديث، وقف زين فاغرًا فاهه لا يصدق ما يراه أمامه ثم تحدث أخيرًا قائلاً: أنتِ!!... كيف هذا؟، كيف استطعت الخروج؟.

كانت تقف أمامه لا تقوى على الصمود، قدماها لا تستطيعان حملها، ملابسها متسخة بالكامل، تبدو كأنها وقعت في بركة من الوحل، وجهها شاحب، وعيناها بها ذبول شديد، مدت يدها إليه لتتكئ عليه قبل أن تخذلها قدماها وتقع.

عندما رآها زين هكذا حملها سريعًا، ودلف بها إلى المخدع؛ لتستريح في الفراش، ثم جلس بجوارها وشعر أنها تحاول أن تتحدث ولكن يبدو أن حلقها جاف، فهرع ليحضر لها كأسًا من الماء؛ لتروي به ظمأها وتهدأ قليلاً، فوجهها يقول أنها عانت الكثير.

انتظر زين قليلاً ثم عندما شعر أنها بدأت تظهر عليها علامات الهدوء والراحة، فبادر بالحديث قائلاً: كيف استطعت الخروج من المقبرة يا أماه؟.

أخذت غالية نفسًا عميقًا كشخص حُرم من الهواء لساعات وساعات ثم تحدثت قائلة: ساعدني جدي في الخروج، بعد أن استطعت أن أتخلص

من قبضته.

وقف زين ومن خلفه مازر يستمعان في دهشة ثم تساءل زين قائلاً: قبضة من يا أمي!!

سكتت غالية عن الكلام وأشارت لولدها بكأس آخر من الماء وبعد أن ابتلعته بالكامل في جُرعة واحدة أجابت: قبضة من يقْبع خلف الجدار يا ولدي، بعد أن أغلقت المقبرة، استطاع أن يسيطر على جسدي، كنت كالمشلولة لا أستطيع أن أحرك أي شيء به، كانت الغلبة له، استطاع أن يجذبني إلى الجدار بالرغم من محاولاتي الكثيرة أن أبتعد عنه، ثم سيطر على يدي في محاولة منه أن أكون وسيلته في فتح الجدار، لم أجد أمامي سوى أن استدعي القدامى ليهبوا لنجدتي، وبالفعل حضرت مئات الأرواح، وبعد عدة محاولات تمكنت من الفرار منه، بعد أن عبرت الكثير من الأرواح الجدار لإعاقته، ثم وجدت جدي يقف أمامي ويشير لي على نعش من النعوش، وعندما قمت بإزاحة النعش وجدت ممرًا سريًا، مررت من خلاله زاحفة على يداي وقدماي حتى وجدت نفسي خارج المقابر تمامًا، ثم عدت للمنزل.

احتضن زين والدته بقوة وظل يردد: حمدًا لله على سلامتك يا أماه... حمدًا لله.

ربَّتت غالية على كتف ولدها ثم قالت: ولدي لم نعد نملك الكثيرمن الوقت يجب عليك أن تذهب لإحضار زينة، يجب أن تأتي بها سريعًا.

ابتعد زين عن والدته ونظر لها بتشكك ثم قال: هل تعلمين شيئًا عما

يوجد خلف الجدار؟.

تجْهَّم وجه غالية وترددت ولكن لم يعد هناك مجال للصمت أو المراوغة لقد حان الوقت ويجب أن يستعدوا جيدًا؛ لذا قالتها صراحةً: إنه شيشنق.

انتفض جسده وشعر بالهلع وقال: ماذا؟ كيف هذا؟ كيف استطاع الوصول إلى هنا؟ وماذا يفعل خلف الجدار؟.

حاولت والدته أن تهدئ من روعه قليلاً وقالت: يا بني، لا تجزع، لقد أصبحت تملك نفس القوى التي يملكها، وبإذن الله ستتغلب عليه، لا تقلق.

أطلق زين تنهيدة كانت حبيسة بين أضلعه وقال: أملك نفس القوى التي يملكها ويمارسها منذ آلاف السنين، أما أنا فلا أعلم حتى ماهيتها.

فأجابته بكلمات تبث الطمأنينة إلى قلبه: نعم، هو ذو خبرة في قواه ولكنه بمفرده، أما أنت فتملك بجوار قواك جيوش لا تهزم.

عقد زين حاجبيه في دهشة وقال: أي جيوش يا أمي!!.

فابتسمت له ووضعت يدها بلطف على وجنته وقالت: جيوش من أرواح سلالتنا، جيوش غاضبة منذ آلاف السنين؛ لأنها لم تجد السكينة بعد موتها، جيوش تريد تدمير شيشنق والانتقام منه، وليس هم فقط، ثم نظرت إلى مازر وقالت: أليس كذلك يا مازر؟!!!.

فأجابها بخشوع: نعم غالية، سأسخر نفسي ومملكتي لمساندتكم في تلك المعركة.

ابتسمت له بامتنان ثم قالت لولدها: أرأيت يا بني؟!! الغَلَبة ستكون لنا إن شاء الله، ولكن يجب عليك جلب زينة الآن.

نهض زين عن الفراش وقد تبدل حاله قليلاً، وشعر ببعض الحماس وأن المعركة بينه وبين شيشنق لن تكون خاسرة وهتف في والدته قائلاً: سيحدث يا أمي، ستكون زينة معي في لمح البصر.

أما زينة فقد كانت تجلس حزينة لا تعلم ما القادم لها، شيشنق اختفى منذ أيام، وزين لم يظهر مرة أخرى ولا حتى في أحلامها، الجميع هجرها وأصبحت وحيدة، لا تجد أي معنى لتلك الحياة، ولا ترغب بأن تظل هكذا، تملَّكها اليأس الشديد، ونهشت الوحدة أفكارها وطاقتها، ولَم تعد لديها أي قدرة على تحمل المزيد.

نهضت من فراشها بملل، وتجولت في القصر ثم هبطت إلى الحديقة وظلت بها فترة طويلة، وعندما مرت أمام بوابة الخروج، وقفت تتأملها وهي تشعر برغبة شديدة لمعرفة ماذا يوجد خلف تلك البوابة اللعينة؟ التى ليس مسموح لها عبورها، أو رؤية العالم من خلفها، ثم بدأ هاجس يسيطر عليها بأن تتمرد على الأوامر، حتى لو انتهى الأمر بموتها، سيكون الموت أفضل مما تعيشه الآن.

وقفت زينة تنظر للبوابة بثبات ثم تهيأت لعبورها وتقدمت في اتجاهها ومدت يدها لتقوم بفتحها، وبمجرد أن لامست يدها المتراس وكأن صاعقة قد صعقت جسدها لتقذفها بعيدًا وتطرحها أرضًا، انخرطت زينة في البكاء ليس بسبب السقطة القوية ولكن لأنها علمت أنه لا سبيل

للخروج من هذا السجن الكبير، فنهضت وهرعت إلى الداخل وقد أصبح اليأس والحزن يعتصرانها، دلفت إلى غرفتها وهي تشعر بأنها تختنق، واستمرت في البكاء فهي الآن تعلم أن كل الطرق مغلقة أمامها، حتى وقعت عينيها على شيء سيخلصها من كل هذا العذاب، شيء واحد سيفتح لها الطريق وينهي تلك المعاناة إلي الأبد.

الفصل الرابع عشر

وقفت زينة تنظر إلى النصل اللامع وكأن به قوى خفية تجذبها إليه، ثم التقطته عن المنضدة بلا أدنى تردد، وشعرت أنها أخيرًا وجدت الحل الوحيد الذي سيخلصها من العذاب الذي تعيش به، وسيضع حدًا لما تعانيه كل يوم، أمسكت الخنجر بيدها وشعرت بملمس المعدن بين أصابعها، ملمس جعل البرودة تسري في جسدها، ثم أطبقت راحة يدها عليه وهي شاردة، تفكر هل ما ستفعله صوابًا؟، أيوجد في الدنيا من يهتم لأمرها؟، من سيبكيها؟، من سيحزن لرحيلها؟.

ظلت شاردة وقبضتها تزداد إحكامًا على النصل، حتى بدأت الدماء تسيل من بين يدها وهي لا تشعر، ثم حدثت نفسها قائلة: أنا ضائعة، لا يوجد لدي أحد، ولن يوجد، إذًا فلأنتهِي من هذا العذاب مرة واحدة وللأبد، ثم ألقت نظرة على راحة كفها ورأت الدماء المتدفقة منها بغزارة، ولكنها لم تهتم ولَم تشعر بأي ألم، فهناك الآلام بداخلها لا تنزف ولكن جرحها أعمق وألمها أقوى، أمسكت بالخنجر بيدها ووضعت النصل على شرايين يدها الأخرى، ثم أغمضت عينيها وهي تتمتم باسم زين.

ـ زينة... زينة.... حبيبتي

انتبهت زينة للصوت، وفتحت عينيها بدهشة، هل ما تسمعه حقيقة أم خيالات أصبحت تهاجمها لتقضي على ما تبقى لديها من وعي حقيقي.

ثم عاد الصوت مرة أخرى يهتف باسمها... زينة... زينة.

شعرت وقتها بأن قلبها قد توقف من شدة الخوف والقلق، خوفًا من أن يكون ما تسمعه مجرد حُلم تتمنى حدوثه، حاولت أن تتمنى أن يكون هذا الصوت حقيقة، ولكنها لم تستطع، فهي لم يعد لديها القدرة على العيش بآمال كاذبة، لقد أصبح كل هذا يؤرقها ويعذبها أكثر.

التفتت زينة لمصدر الصوت في محاولة أخيرة منها لإسكات الأوهام التي أصبحت تلاحقها، ولكنها فوجئت أن خيالاتها أصبحت تزداد سوءًا، أصبحت تتجسد أمامها كأنها حقيقة، ظلت تغلق عينيها ثم تعود وتُحدِّق لتجده مازال أمامها.

أما زين، وقف يشاهد دهشتها الشديدة وعينيها التي تحملق فيه غير مصدقة لما تراه، فاقترب منها ببطء حتى أصبح أمامها وهي مازالت غير متيقنة من حقيقة وجوده، ثم لامس وجنتها برقة شديدة وهو يحدثها قائلاً: حبيبتي.. أنا هنا أمامك... أنا معك.

شعرت زينة بقُشعريرة تسري في جسدها من أثر لمسته الحانية، تلك اللمسة التي تتذكرها جيدًا من أحلامها، وما هي إلا ثوانٍ وانخرطت بالبكاء من فرط سعادتها لرؤيته، ومن شدة خوفها من رحيله مرة أخرى.

اعتصر الحزن قلب زين لرؤيتها تبكي هكذا وشعر بالألم لحالها، فجذبها بين ذراعيه واحتضنها بقوة حتى تهدأ تمامًا، وكأنه بهذا أعطاها الإذن بأن تطلق العنان لكل ما هو مكبوت بداخلها، فتشبثت به بيديها، ودفنت وجهها بصدره وظلت تبكي بحرقة شديدة، أما هو لم يحاول أن يقاطعها

أويوقفها، بل تركها تبكي حتى هدأت تمامًا، واستكانت على صدره.

ظلت زينة بين ذراعي زين مغمضة العينين، هادئة، لا تعلم كم من الوقت مرَّ وهي على هذا الحال؟ حتى أنها شعرت أنها غفت قليلاً، ثم بدأت تفتح عينيها تدريجيًا، وكانت دهشتها كبيرة عندما نظرت حولها ووجدت نفسها في مكان آخر، مكان غريب لم تره من قبل، ابتعدت عنه وظلت تدور حول نفسها في دهشة وصدمة، وهي لا تفهم ماذا يحدث؟، ثم توقفت عند سماعها صوته وهو يحدثها قائلاً: لا تجزعي حبيبتي، اهدأي، أنتِ الآن بأمان... أنتِ في بيتي... لم يعد لشيشنق أي سلطان عليكِ.

همست بصوت يكاد يكون مسموعًا وملامحها تحمل الكثير من الرعب والصدمة: كيف؟، كيف هذا؟، كيف وصلت إلى هنا؟.

ابتسم زين لها واقترب منها ولكنه شعر أنها تتراجع للخلف في خِيفة من كل ما يحدث، فظل بمكانه وأردف قائلاً: زينة حبيبتي، لقد كنتِ حبيسة في بيت شيشنق، أنا أعلم أن كل هذه الأحداث من الصعب تقبلها، وأن ما يحدث من حولك قد يصيب العقل بالجنون، ولكن كل هذا انتهى بالنسبة لكِ، أنتِ الآن معي، في بيتي بأمان، بجواري، ولن أتركك أبدًا؛ لذا أرجوكِ لا تجزعي واهدأي.

وقفت زينة تستمع لكلماته وهي تشعر بدوار شديد، حتى أنها بدأت تترنح بشدة، ولولا يد زين التي التقطتها كانت سقطت على الأرض مغشيًا عليها.

حملها زين ووضعها على الفراش برفق، ثم انتبه لوجود الدماء التي تغطي يدها وملابسها والتي لم يلاحظها من قبل، بحث عن مصدر الدماء، فوجد جُرحًا غائرًا في راحة يدها، فانتابه القلق الشديد عليها وهتف على غالية حتى تأتي وتساعده.

دلفت أمه مسرعة إلى الغرفة وهي مذعورة من صوته الذي ينبئ بكارثة، وعندما وجدت زينة على الفراش نائمة تحدثت بقلق: ماذا حدث؟، هل حدث لها شيء؟.

فأشار زين إلى الدماء، فهرعت صوْب الفتاة وتفحصت يدها، ثم ابتسمت براحة قائلة: أتوقف قلب أمك بسبب هذا الجُرح البسيط!!.

حدَّق بها زين بقلق قائلاً: كيف يكون بسيط؟، ألا ترين الدماء كم هي غزيرة؟.

فضحكت والدته وقالت: اذهب وأحضر لي الحقيبة التي تحوي أدوات الخياطة، سأخيط لها الجرح، ثم اذهب وأحضر لي كأسًا من الماء محلى بالعسل.

هرع زين لإحضار ما طلبته والدته وبالفعل قامت بتطهير الجرح وتنظيفه من الدماء، ثم قامت بخياطته، وعندما انتهت طلبت من زين أن يقوم برفع رأسها حتى تحاول أن تجعلها تبتلع الماء المحلى، وعندما انتهت أخيرًا قالت: اتركها ترتاح قليلاً، ستصير على ما يرام.

مرت عدة ساعات على إغماءه زينة، تفقدتها غالية فيها العديد من المرات هي وزين، وفِي المرة الأخيرة دخلت لتجدها جالسة في الفراش

ويبدو عليها أنها استيقظت للتو، اقتربت منها بهدوء وتحدثت قائلة: أهلا بكِ بنيتي، كيف حالك الآن؟.

ارتسمت الدهشة على ملامح زينة وهي تنظر لها وتحدث نفسها: من هذه أيضًا؟ ماذا يحدث لي؟.

شعرت غالية بالحيرة والارتباك اللذيْن تشعر بهما الفتاة، فجلست بجوارها على الفراش وربَّتت على يدها قائلة: لا تقلقي يا ابنتي، فأنتِ الآن بأمان، في بيت ابني زين، وأنتِ منذ الآن ابنتي، وأتمنى أن أكون كوالدتك.

تأثرت زينة بكلماتها فنظرت لها والدموع في عينيها ثم تحدثت قائلة: وأين والدتي؟، أنا لا أعلم عنها شيئًا، لا أتذكر من حياتي السابقة أي شيء، لا أعلم هل لي عائلة؟ ؛أم لا.

حاولت غالية تهدئتها وقالت: لا تقلقي، ستعود ذاكرتك لكِ، وسنعثر على عائلتك، سيعود كل شيء لطبيعته، فقط اصبري قليلاً.

حاولت زينة التماسك وطبعت ابتسامة رقيقة على شفتيها وقالت: بإذن الله.

وهنا دلف زين إلى الغرفة فوجدهما تتحدثان فابتسم وقال: أرى أن أمي لها مفعول السحر، لقد عالجتكِ، وأيضًا جعلتكِ تبتسمين، رفعت بصرها له ونظرت بخجل وهي تقول: أدامها الله لك.

فأردف: اللهم آمين، أخبريني هل تشعرين بتحسن؟.

فأجابته بصوتٍ ناعم رقيق: نعم، أفضل بكثير.

استشعرت غالية الحرج وأنها لم يعد لها مكان في تلك الجلسة، فنهضت وهي تقول: إذًا ساعدها يا زين لتنهض، وهيا إلى غرفة الطعام حتى نتناول الإفطار.

أجابها وهو يتحدث بحماس: سمعًا وطاعة، ثم بعد ذلك سأصطحبك في جولة إلى المدينة.

قفزت زينة من الفراش من شدة الفرح وقالت: هل تتحدث بجدية؟، سأرى ماذا يوجد بالخارج؟، سأشاهد العامة في الطرقات والبيوت والأشجار، سأرى النور خارج البيت، سأسير بحرية بلا خوف ولا رقيب.

ابتسم زين وأجابها: نعم، ولكن يجب أن تنهي صحنك بأكمله وإلا لن نخرج.

هزت زينة رأسها ووجهها يعلوه الحماس والرغبة واللهفة الشديدة، وهرعت خارج الغرفة وهي تقول: أين الطعام؟.

التفوا جميعًا حول المائدة يتسامرون بأحاديث كثيرة وظلت غالية تروي روايات عن طفولة زين وصباه أثناء تناولهم الفطور، أما زينة فجلست تستمع وهي تلتهم الأكل بسرعة شديدة حتى أنهت طعامها بالكامل، ونهضت مسرعة وهي تقول: لقد أنهيت صحني، هل نذهب الآن؟.

ضحك زين ووالدته وأجابها: نعم، ولكن أولا يجب أن تغيري ملابسك، تلك الملابس ليست مناسبة.

شحب وجه زينة وهي تنظر إلى ملابسها الملطخة بالدماء، وانتابتها الكآبة فهي لا تملك غيرها الآن ثم قالت بحزن : ولكني لا أملك سواها.

وهنا نهضت غالية عن المائدة وأشارت لها أن تتبعها إلى غرفتها حيث قامت بإخراج ملابس لها من الخزانة، عبارة عن جلباب جميل تشتهر به نساء سيوة يحتوي على العديد من الألوان الزاهية المتناسقة مع بعضها وعلى أطرافه نقوش من الأزهار، بمجرد أن وقعت عين زينة على الجلباب غمرتها سعادة كبيرة، لقد وقعت في غرامه وأعجبها كثيرًا؛ لذا قامت بنزع ملابسها المتسخة سريعًا عنها ، وارتدت الجلباب وهي تشعر بسعادة شديدة، ثم احضرت لها غطاء للرأس وثبتته على رأسها.

خرجت غالية من الغرفة وتبعتها زينة على استحياء، دون أن ترفع عينيها عن الأرض، وقد بدا أنها تشعر بالخجل الشديد.

وبمجرد أن وقعت عين زين عليها شعر بقلبه يغادره ويركض نحوها، كأنه أعلن استسلامه التام لها، الحصون جميعها سقطت أمامها، وقف يتأملها وقد أبحر قلبه في بحور عينيها حتى أفاق على صوت والدته وهي تهتف باسمه: زين... زين... بني.

شعر حينها بالارتباك وأجاب والدته: نعم.. نعم يا أمي.

فقالت ضاحكة: أعتقد من الأفضل أن تذهبا الآن قبل أن يحل الظلام.

ـ نعم.. نعم هيا بِنَا يا زينة.

مضى الاثنان في طريقهما وعادت غالية إلى غرفتها لتخرج صندوقها

الخشبي وتفتح الجارور حتى يخرج مازر منه وبمجرد ظهوره لها قال: حبيبتي غالية، ألمْ يحن الأوان أن تستمعي لي، وتأتي معي إلى عالمي؟ أنتِ تعلمين جيدًا مقدار حبي لكِ.

نظرت غالية له بغضب وقالت: مازر... توقف عن هذا الكلام.. واستمع إليَّ جيدًا.. تأهب لقد حان الوقت... تأهب أنت وجيوشك.

الفصل الخامس عشر

غادر زين البيت مع زينة وذهبا إلي المدينة للتنزه، كانت تتجول وهي في حالة انبهار شديدة بكل ما تراه، كأنها تبصر للمرة الأولى وتكتشف شكل وطعم الحياة خارج الجدران، ظلت تُحدِّق في كل شيء، المحال، البيوت، الأزقة، المارة، ألوان الملابس، الأطفال وهم يلعبون، كانت تغمرها سعادة بالغة وإحساس بالنشوة والحياة، فقد دب الأمل في قلبها، بعد أن كان اليأس قد تملكها تمامًا حتى أنها كادت أن تنهي حياتها، ولكنها الآن تشعر أنها تبدأ من جديد، وأن حياتها أصبح لها أهمية، وها هي الآن مليئة بالأمل والتفاؤل والسعادة والحب.

ظل زين يتجول معها في أجمل الأماكن بالمدينة، ثم ذهبا سويا إلى المزرعة التى يملكها، وبمجرد أن وقعت عيناها على الأرض الممتدة أمامها، راحت تركض بين المحاصيل وتطارد الفراشات، كأنها تود أن تفعل كل ما حُرمت منه، ثم أخيرًا جلس الاثنان تحت شجرة كبيرة ليأمنا في ظلها من الشمس الحارقة.

أسندت زينة ظهرها على جذع الشجرة الكبير، وأغمضت عينيها، واستسلمت للنسمات الرقيقة التي كانت تداعب وجهها، أما زين فكان يجلس بجوارها يتأملها بصمت، يحاول أن يحفر ملامحها بعقله وهو يتساءل بداخله هل ستكتب لهما السعادة أم لا؟ هل سيجمعهما القدر؟،

أم ستفرقهما اللعنة، ثم أطلق تنهيدة قوية تعبر عن كل ما يجيش بصدره، وعلى إثْرها فتحت زينة عينيها ونظرت له قائلة: هل أنت على ما يرام؟

فابتسم لها وأجاب: نعم، بالتأكيد.

فعادت لسؤاله مرة أخرى: أهناك ما يشغل بالك؟.

صمت زين قليلاً وهو يفكر في كل ما حدث، وفيما سيحدث ثم استطرد قائلاً: نعم، هناك ما يشغلني.

تسرب القلق إلى قلبها فهي لا تريد أن تنتهي تلك السعادة، لا تريد أن تعود كما كانت، حتى أنها شعرت بالخوف من أن تعلم ما يشغله، فهي لم تعد تحتمل أن تعاني ثانية بعد أن شاهدت شكل الحياة الحقيقية.

وكأن زين شعر بما يدور في مُخيلتها فبادرها بالسؤال قائلاً: أتعلمين ما يشغلني الآن هو أن أعلم شيئًا واحدًا فقط، ثم نظر في عينيها وقال: هل أغرمتِ بي أم لا؟.

أحست بالخجل يعتريها واحمرت وجنتيها وبدأت الكلمات تتلعثم على شفتيها، فاستطرد زين قائلاً: أرجو ألّا أكون قد أزعجتك بسؤالي هذا، ولكن أرجوك، اصدقيني القول، هل تشعرين بأي إحساس تجاهي؟.

تحدثت زينة بخجل شديد حتى أن صوتها بالكاد أن يكون مسموعًا وقالت: سأصدقك القول، ولكن أتمنى ألا يحزنك ما سأقوله.

أشاح زين وجهه عنها حتى لا يربكها، وسلَّط بصره على اللاشيء أمامه وأجاب: اطمئني... لن أحزن.

تحدثت وهي تشعر بالتردد ولكنها يجب أن تكون صريحة معه فأجابت: أنا لا أعلم، أشعر بالارتباك الشديد، كل ما حدث ويحدث، لا أفهم شيئًا مما يدور حولي، لا أعلم هل لي عائلة أم لا؟، من أي زمنٍ أنا؟، أني لا أفقه أي شيء في الحياة، كل شيء أراه لأول مرة، لا أعلم هل هذه حقيقة أم لا؟، مشاعر كثيرة مختلفة ومتناقضة بداخلي، أنا أشعر بالحيرة، كما أشعر بالغربة، لا أشعر بأني أنتمي لهذا العالم، كما كان لدي أيضًا نفس الشعور من قبل وأنا حبيسة القصر، كل تلك التساؤلات والحيرة التى بداخلي، تربكني، وتفقدني تركيزي، إني أعلم أني سعيدة معك، وشعرت بالأمان في منزلك، ولكن هل هذا هو الحب؟، لا أعلم.

صمت زين يستمع لها وهو يعلم أن كل ما تقوله صحيح، كيف لها أن تعلم الحب وهي لا تعلم أي شيء في الحياة، كيف تستطيع تفسيره؟، أو تسميته وهي ما زالت تجهل الكثير، كيف تشعر بالحب تجاهه؟، وهي لا تعلم عنه شيئًا، لم تجلس معه قبل هذه اللحظة من قبل، ظل صامتًا تتخاطفه الأفكار في رأسه، حتى قاطع شروده صوتها وهي تتساءل: هل أغضبتك؟.

التفت زين لها وقال مبتسمًا: على العكس تمامًا، أنا مسرور بصراحتك، لا أريد أن تتفوهي بشيء لا تشعرين به، ثم أن أمامنا الكثير من الوقت في هذا العالم لكي تقعي في غرامي.

تبادل الاثنان النظرات، كانت نظرات تحمل الراحة والطمأنينة ثم أضاف وهو ينهض ويبسط يده لها ليساعدها على النهوض: هيا بِنَا سنذهب

إلى مكانٍ رائعٍ لم تشاهدي مثله من قبل.

عودة إلى غالية التي كانت ما زالت تتحدث مع مازر الذي أجابها وقال: نحن مستعدون، ولكن هل تشعرين بشيء؟.

شخصت غالية ببصرها بعيدًا وشردت قليلاً ثم قالت: لست أشعر فقط، أنا أعلم أنه سيحدث قريبًا؛ ولذا يجب أن نكون على أَهُبة الاستعداد، وأعتقد أنك لست بحاجة أن تعلم أن تلك الحرب مهمة لنا جميعًا، فلو هلكنا ستهلكون معنا.

أجابها مازر بقوة وإصرار: أعلم يا غالية، أعلم جيدًا، قال كلماته ثم اختفى تمامًا.

ومع اختفائه أسرعت غالية إلى الكتاب وقامت باستحضار كل الأرواح التي هي بحاجة إليها الآن، وبمجرد أن ظهرت أمامها الاثنتا عشرة روحًا تحدثت قائلة: لقد حان الوقت، لم يتبقّ الكثير، يجب أن تحشدوا الجميع، زين هو أملنا الوحيد؛ لذا يجب حمايته طوال الوقت، لا ينبغي أن نخسر تلك المعركة، فهي فرصتنا الأخيرة، الحاسمة، هيا تفرقوا أريد جيشًا لا مثيل له، وليذهب بعضكم في أثر ولدي لحمايته، من الآن وصاعدًا ينبغي أن لا يغيب عنكم لحظة واحدة.

مضت الأرواح في طريقها وبدأت غالية تستعد للمواجهة الأخيرة بتحصين البيت جيدًا ضد أي شيء خارجي، وإعداد كل الوسائل التي قد يكون لها ضرورة في تلك المواجهة.

وعلى الجانب الآخر استقل زين وزينة العربة الخاصة به التي يجرها

الخيل، وبدأ يسلك طريقه نحو معبد آمون وهو يروي لها في الطريق تاريخ هذا المعبد، محاولة منه لكسر الجليد الذي بينهما والتقرب لها.

حكي لها أن معبد «آمون» بواحة سيوة، من أهم المعالم الأثرية التي شُيدت خلال عصر الأسرة السادسة والعشرين في القرن السادس قبل الميلاد فوق هضبة أغورمي المرتفعة، وأنه يمكن مشاهدة الواحة كاملة وبحيراتها المالحة ومزارع النخيل والزيتون التي تحيطها، والمعالم الأثرية الأخرى والجبال من الطبقة الثانية للمعبد.

وأنه يتكون من ثلاثة أجزاء، المعبد الرئيسي، وقصر الحاكم، وجناح الحراس، وبه ملحقات كثيرة كالبئر المقدسة التي كان يتم فيها الاغتسال والتطهر، وقد أقام به العراف اليوناني الشهير آمون، وفِي عام ٣٣١ ق.م توجه إليه الإسكندر الأكبر مباشرة بعد فتحه مصر، ويتميز المعبد بوجود مسجد ومئذنة، وغرف للكهنة وممرات وبهو شيد لاستقبال الإسكندر وتتويجه، وبئر المياه المقدسة وجدران رومانية، وينقسم إلى نصفين، الأول المصري القديم والجزء الثاني بطلمي وإسلامي.

ثم قال لها أن سبب تسمية المعبد بمعبد التنبؤات يعود إلى أن الإسكندر قد سأل العرّاف عما إذا كان سيحكم العالم، وكانت إجابة الكاهن نعم، لكن ليس لفترة طويلة، وبالفعل تم تتويج الإسكندر حاكمًا لمصر عقب حصوله على نبوءة الكاهن.

ثم أعقب ذلك بالحديث على أن المعبد يشهد ظاهرة فلكية تسمى الاعتدال الربيعي، حيث تتعامد الشمس على المعبد مرتين كل عام في

الاعتدال الربيعي والخريفي، ويتساوى الليل والنهار بعد 90 يومًا من أقصر نهار في العام، وبعده بتسعين يومًا آخر يقع أطول نهار في العام.

اجتاز زين الطريق في وقت طويل؛ لأنه كان يتحدث مع زينة معظم الوقت، كان يحاول أن يتواصل معها بأي طريقة ممكنة، وبالفعل كانت زينة مستمتعة بكل ما يقصه عليها، كانت تشعر أنها كالكتاب الذي كل أوراقه فارغة، وتحتاج أن تبدأ في تسطير صفحاته؛ لذا كانت تشعر بنهم شديد لمعرفة كل ما فاتها.

انتهت الرحلة بالوصول للمعبد، وتوجها سويًا إلى أعلى الهضبة، وبدأت زينة تتجول في أروقته وحجراته وهي تشعر بالانبهار الشديد، أما زين فكان لديه شعور آخر غريب لم يستطع تفسيره، ولكنه لم يكن مطمئنًا؛ لذا حاول أن تنتهي الجولة سريعًا،

وحينما كان يمر بين الغرف والممرات، وأثناء دخوله غرفة من غرف الكهنة وجد أمامه عدة أرواح تحجب المدخل وتمنعه من الدخول، ثم أطلقت إحداها صرخة قوية قائلةً: إرررررررحل.

ضم زين زينة إلى صدره في محاولة منه لحمايتها ثم أسرع وهو يجذبها خلفه للخروج من هذا المكان، هبط الهضبة سريعًا والأرواح مازالت تطفو فوق رأسه؛ لذا كان يمسك يد زينة ليحثها على الهبوط سريعًا، وبمجرد أن وصلا إلى العربة، صعدا إليها وانطلق بأقصى سرعة متجهًا إلى المنزل، والأرواح مازالت في أثره وتسبح فوق رأسه.

كانت زينة تشعر بالخوف من تصرفات زين، فهي لا ترى الأرواح ولكنها

تعلم أن هناك شيئًا يحدث، ظلت جالسة في العربة مغمضة العينين، تتضرع بصمت أن لا يحدث لهما أي سوء، وأن لا تنتهي بالعودة إلى شيشنق مرة أخرى.

استطاع زين أن يجتاز المسافة إلى المنزل في وقت قصير، وبمجرد أن وطأت قدميه البيت من الداخل صاح مناديًا والدته وهو في جَزَع شديد من أن تكون قد أصابها مكروه، وبمجرد أن رآها تخرج من غرفتها تنفس الصعداء وهدأ قلبه، ولكن بعد رؤيته لتعبيرات وجهها أدرك أنهم على مشارف كارثة فوجه حديثه لزينة وقال: زينة هيا لتستريحي قليلاً، ثم أشار لها إلى باب الغرفة قائلاً: هذه غرفتي، أتمنى أن تجدي راحتك بها، نظرت زينة لهما وعلمت أن هناك شيئًا يحدث، وأنه لا يجب عليها سماعه، فتوجهت بصمت إلى الغرفة بدون أن تتفوه بكلمة واحدة.

ثم دلف هو ووالدته إلى الغرفة الأخرى وبمجرد أن أغلق الباب خلفهما تحدث زين بقلق بالغ قائلاً: ما الذي يحدث يا أمي؟، لم أنتِ هكذا؟.

لم تجب غالية بل صاحت بصوت مرتفع وقالت: هلموا الآن.

وفِي ثوان معدودة بدأت الاثنتا عشرة روحًا تحضر أمامهما الواحدة تلو الأخرى إلى الروح الأخيرة ثم قالت غالية: هيا لنبدأ لم يعد هناك متسع من الوقت.

الفصل السادس عشر

وقف زين يشاهد ما تفعله غالية في دهشة وقلق، لم يكن يتوقع أن تكون النهاية قريبة إلي هذا الحد، فهو إلي الآن غير مستعد لها، لا يزال الارتباك والخوف يسيطر عليه ؛ مازال يرى نفسه إنسانًا طبيعيًا لا يختلف عن بقية البشر، قواه المزعومة التى أصبح يملكها لا يعرف حتى طبيعتها، لم يمارسها، ولا حتى يتقن أيًّا منها، وقف ينظر لهم في ترقب وكأن يوم القيامة قد حلّ والسماء ستسقط الآن، والجبال ستتشقق وتنهار، والأرض ستمحي من الوجود، حتى أنه كاد يجزم أنه يسمع صوت ضربات قلبه أعلى من صوت انفجار بركاني.

ثم نطق أخيرًا قائلاً: ماذا سيحدث الآن يا أمي؟

التفتت غالية نحوه ولمحت الرعب في قسمات وجهه، فاقتربت منه وضغطت على كتفيه وهي تنظر في عينيه قائلة: يا بني... لا تجزع... كيف لرجل مثلك يملك كل القوى التي على وجه الأرض ويكون هكذا؟ لا تقلق يا ولدي، أتعتقد أني لا أعلم شيء، لا، أني على يقين بأنك ستنتصر وستتغلب عليه، أتعلم لماذا؟ لأني أعلم حقيقتك جيدًا، أعلم ما بداخلك، وأنك عندما تصبح في المواجهة ستكون كالوحش الكاسر لن يستطيع أن يتغلب عليك أحد، فقط ثق بنفسك وقدراتك، وثق بحكم أمك غالية.

تأمل زين وجه أمه وشعر بصدق مشاعرها وباليقين الذي يلمسه في نبرة صوتها، وكأنها تضع حملاً آخر فوق كتفه مع اللعنة التي يجب عليه حلها، فهو الآن يجب أن لا يخذلها، يجب أن يحقق لها هذا اليقين، يجب أن يكون أقوى من أي وقتٍ مضى؛ ولذا حاول أن يطرد كل الأفكار السلبية التي تطارده في رأسه وأن يتجرد من أي مشاعر قد تقلل من عزيمته، ويبادل نظرات أمه بابتسامة ثم قال: طالما أنتِ علي يقين، إذن فأنا الغالب بمشيئة الله.

فابتسمت والدته بدورها له وقالت: فلنبدأ، ثم التفت إلى الأرواح الاثني عشر وقالت: يجب أن تتدرب على قواك، يجب أن تستعد جيدًا، والأرواح هم من سيقومون بتدريبك، هل تعلم لمَ هؤلاء بالذات هم المختارون؟.

فأجابها ابنها: لا أعلم، ولكن غريزتي تقول أن العظام التي كانت في اللفافة تنتمي لهم.

فأردفت قائلة: هي كذلك، ولكن ليس هذا الأمر فقط، هؤلاء الاثنا عشر هم الأقوى والأقدم، لقد اختار لك شيشنق الرابع مَن لن يستطيع شيشنق الأول مجابهتهم أو هزيمتهم، فقوتهم لو اجتمعت تستطيع أن تدمر كوكب الأرض في بضعة دقائق، والآن أنت تملك تلك القوى ويجب عليك استخدامها بحذر وتعقل حتى لا تبيدنا جميعًا، يجب أن تعلم كيف تسيطر عليها وكيف تستخدم منها المقدار المناسب الذي يفيدك ولكن بدون التسبب في حدوث أي كارثة.

ابتسم زين ابتسامة يشوبها القلق وقال: اشفقي عليَّ قليلاً يا غالية

ويكفيني ما أنا فيه، فلست بحاجة لقلق جديد يضاف لما عندي.

فربَّتت والدته على كتفه بحنو وأضافت: لا تجزع يا بني، ستنتصر إني على يقين بهذا.

اتجه زين إلى داخل الدائرة التي شكلتها الاثنتا عشرة روحًا، وتوقف في المنتصف في انتظار ما سيحدث، وهنا بدأت الأرواح تدور حوله في سرعة شديدة وبعد لحظات قليلة اختفي الجميع ومعهم زين.

تأملت غالية الغرفة الخاوية وحدّثت نفسها بصوت غير مسموع قائلة: كان الله في عونك يا ولدي، ثم غادرت الغرفة متجهة إلي زينة للاطمئنان عليها.

أما زين فقد وجد نفسه في لمح البصر في أرض فضاء خالية، لا يوجد أي ملمحٍ لحياة عليها، والأرواح حوله توقفت عن الدوران وابتعدت عنه قليلاً ما عدا روح واحدة تقدمت منه، وبدأ صاحبها يرفع يده في حركة دائرية وهو يشير بسبابته، نظر زين حيث يشير فوجد الرمال تتحرك أمامه وتشكل إعصارًا صغيرًا، وكلما ازدادت حركة يده سرعة، كبر الإعصار وأصبح أقوى وأسرع، ثم في لحظة أوقف يده وقام بخفضها لأسفل، فتوقف الإعصار عن الدوران وسقطت كل الرمال مرة أخرى إلى الأرض وهدأ كل شيء.

فهم زين أنه يجب أن يقوم بنفس الحيلة، فوقف منتصبًا كالمسمار، وبدأ يأخذ أنفاسًا عميقة ليهدأ من روْعه قليلاً، ثم تذكر كلمات والدته له، وحديثها عن قواه التي يملكها وأنه يجب أن لا يهاب أي شيء؛ لأنه

لا يوجد شيء يستطيع هزيمته، فاجتاحه الارتياح وبدأت الثقة تأخذ طريقها إلى قلبه وعقله، حتى أنه شعر بالقوة التي تسري في جسده، فقام برفع يده وفعل مثلما فعلت الروح تمامًا ببساطة شديدة، حتى بدا كأنه يفعل هذا منذ زمن بعيد، مما عزز شعوره بالثقة، وبأنه سيتغلب على أي شيء يواجهه.

تقدمت الروح الأخرى التي تتميز بقدرتها على أن تجعل السماء تتحول إلى ساحة حرب، تتجمع بها الغيوم وتعصف بها العواصف الرعدية وتظهر سهام البرق بها كأنها تقاتل بشراسة، وقف زين ينظر مشدوهًا بما يرى ثم عندما حان دوره استطاع أن يجتاز هذا الاختبار ببراعة كما فعل فيما سبق.

وهكذا توالت الاختبارات والتدريبات، ولكن لم تتوال الانتصارات أيضًا، كان هناك أيضا الكثير من الاخفاقات والمحاولات المتكررة حتى يستطيع إتقان القوى جيدًا، استمر الحال على هذا المنوال قرابة خمسة أيام، ظل فيها بعيدًا عن بيته وعن والدته وحبيبته استطاع في نهايتهم التحكم في الماء، الزرع، الجبال، الأرض، استطاع الانتقال من مكان لآخر بمنتهى اليسر، وأيضًا الانتقال من زمن لآخر بسهولة، تعلم كيف يسيطر على الأفكار، وكيف يمحي الذكريات، إلى آخر الحيل.

أما عند غالية وزينة فكانت الحياة هادئة لا يعكر صفوها سوى غياب زين عنهما، ولكنهما استغلا تلك الفرصة وأصبحتا قريبتين من بعضهما البعض، حتى أن زينة تعلقت بغالية تعلقًا شديدًا وباتت تلازمها كظلها، تساعدها في أمور البيت وتذهب معها للتسوق وشراء احتياجاتهم، وفي

الصباح تستيقظ مبكرًا لتعد لها الفطورثم توقظها ليتناولوه سويًا، حتى غالية باتت تلقبها بابنتي الحبيبة، كانت تشعر أن الله قد أرسلها لها حتى تكون عِوَضًا لها، لأنها لم تحظ يومًا بنعمة الابنة في حياتها.

وفِي نهاية اليوم الخامس، وأثناء انهماك زين في التدريب، وجد روح شيشنق الرابع تعيقه عما يفعله، وقف مندهشًا، لايعلم ما السبب؟ ولكن فجأة ساوره شعورغريب، وأن هناك أمرًا جللاً قد حدث، فأشار للجميع بالعودة، وبالفعل عاد مرة أخرى إلى البيت بنفس الطريقة التي رحل بها.

عاد ليجد والدته تنتحب بشدة كأنها فقدت زوجها مرة أخرى، هرع نحوها وهو يشعر بقلق شديد وقال متسائلاً بفزع: ماذا حدث؟، ماذا حلَّ بك يا غالية؟.

رفعت أمه عينيها لتنظر لولدها وصوت نحيبها يعلو حتى أنها بدأت تلطم على وجهها بكلتا يديها وهي تصرخ قائلة: لقد هلكنا، هلكنا جميعًا، لقد اختفت زينة، اختفت.

شعر زين بصدمة شديدة وقال: كيف هذا؟، ماذا حدث؟، أخبريني بكل شيء.

فأردفت قائلة وأنفاسها تتقطع من كثرة النحيب:

بعد أن استيقظت تفاجأت أنها لم توقظني كعادتها فذهبت أعد لها الفطور، وأثناء ذلك سمعت صوت في الخارج، فأسرعت لأجد باب المنزل مفتوحًا على مصراعيه، فهرعت للغرفة وجدتها خاوية تمامًا، بحثت عنها

في كل أرجاء المنزل، حتى أني بحثت عنها في الخارج ولكني لم أجدها.

وقف زين مقطبًا حاجبيه وهو يفكر ثم أضاف قائلاً: أين ذهبت؟ هي لا تعرف أي أحد هنا، هي لا تعرف أي شيء ولا حتى تعرف من هي؟، فأين ذهبت؟.

فأجابت والدته بدون تفكير: قلبي ينبئني أنه شيشنق.

نظر زين لوالدته بدهشة شديدة وقال: كيف هذا؟.

فنهضت والدته من مجلسها وتحدثت بعجلة شديدة والفزع يقفز من عينيها: لم يعد هناك وقت للتساؤل، ولا يوجد تفسير آخر؛ فهي لم تكن تفارقني طوال الأيام الماضية، كانت تلازمني كالظل، يجب أن تذهب الآن، يجب أن تسرع قبل أن يحدث لها شيء، أسرع الآن وسأستدعي الجميع لنلحق بك.

لم ينتظر زين طويلاً وهرع إلي المكان الوحيد الذي يجب أن تكون فيه الآن، وهو يتمنى أن يستطيع اللحاق بها قبل أن تفتح عليهم أبواب الجحيم.

الفصل السابع عشر

عودة إلى أحداث اليوم السابق ليلاً بعد أن نهضت زينة وودعت الأم غالية واتجهت إلى غرفتها، دلفت بحذر شديد كما تفعل كل ليلة ثم وقفت تبحث بعينيها في كل اتجاه وعندما لم تجد شيء تقدمت صوْب الفراش وجلست وهي شاردة تفكر في كل ما يحدث، اختفاء زين الغير مبرر بالنسبة لها، وحديث والدته بأنه ذهب في رحلة عمل عاجلة دون حتى أن يقوم بوداعها لم تستطع تصديقه، ثم هناك الأحلام المزعجة التي تنتابها أثناء النوم وأصبحت تزداد مع مرور الأيام حتى أنها باتت ترتعب من فكرة النوم وتحاول أن تظل مستيقظة طوال الليل حتى لا تراه مرة أخرى في أحلامها.

جلست على الفراش تفكر في كل هذا وهى تحاول أن تقاوم النعاس ولكن لم يدم ذلك طويلاً وانهارت مقاومتها واستطاع أن يغلبها في النهاية، فنامت وهي جالسة، ثم كردة فعل تلقائية، انزلقت بجسدها وتمددت على الفراش لتنعم بالراحة.

مرت الساعات الأولى بسلام ولكن مع اقتراب الفجر، بدأ جسد زينة ينتفض وبؤبؤ عيناها يدور في سرعة شديدة، وتحركت يدها نحو القلادة التي حول رقبتها والذي تحول لونها إلى الأحمر القاني، وبدأت تشع

ضوءًا قويًا ثم قبضت عليها بين كفها بأحكام شديد، لتنسل أشعة الضوء من بين فراغات أصابعها المحكمة عليها.

وما لبثت سوى دقائق قليلة فتحت فيها زينة عينيها، وجلست في الفراش، كان مظهرها غريب كأنها شخصًا آخر، لا يوجد تعابير على وجهها، بدت كالعرائس الخشبية التي يتم تحريكها من خلال خيوط، لا سيطرة لها على جسدها، وكأن هناك من يتولى هذا، وجهها ليس به أي علامة تدل على أنها تعي ما تفعل كأنها مغيبة، كانت جسد بلا روح.

نهضت من الفراش وظلت تعبث في محتويات المكان تبحث عن شيء ما، وعندما عثرت عليه خرجت من الغرفة ثم من البيت كله وبدأت في رحلة سير إلى مكان غير معلوم.

عودة للوقت الحاضر، بعد أن علم زين ما حدث هم بالخروج سريعًا ولكنه عاد من أجل مفتاح المقبرة، ظل يبحث عنه هو ووالدته وعندما لم يعثر عليه، تأكدت الشكوك بداخلهما، وهرع سريعًا يمتطي حصانه في اتجاه المقبرة وكلمات والدته تتردد في أذنيه (لا يستطيع أي إنسان دخول هذه المقبرة ولو حاول سيحترق في الحال)، كاد قلبه يقتلع من صدره خوفًا عليها مما قد يحدث لها، حتى أنه كاد يتسبب في وقوعه من على ظهر الحصان بسبب هياجه الشديد من أثار ضربات السوط على جسده الذي يستخدمه زين؛ ليحثه على السرعة لقد كان يسابق الزمن.

وفِي خلال فترة وجيزة استطاع أن يصل إلى المقبرة ويالدهشته عندما

وجد أبوابها غير مغلقة، سرت رعشة في جسده واحتلته الظنون أن يكون قد حدث أي مكروه لها، توقف للحظات يتأمل البوابة المفتوحة على مصراعيها ويحدث نفسه بما ينتظره بالداخل، ولكن لم يمهل نفسه طويلاً وأسرع ليلحق بزينة، فقد يكون هناك أمل أن يجدها بخير.

عبر البوابة وتجول بعينيه في أرجاء المكان باحثًا عنها، حتى استقر بصره على الجدار المنكوب وتبدد أي أمل بداخله وأصبح هناك واقع أن المعركة قد حانت، حدَّق صوْب الجدار الذي اختفى ليظهر مكانه سردابًا طويلاً قابعًا خلفه، لا يعلم ماذا سيحدث لو اجتازه؟ ولكن لا مفر أمامه يجب عليه هذا، بدأ بالتحرك ليسلك طريقه داخل الممر ولكنه لمح طيفًا يتحرك بجواره، التفت خلفه ليشاهد ما هذا، ولكنه لم يعثرعلى أحد، فعاد ببصره مرة أخرى للجدار ولكن لم يلبث سوى لحظات ولمح ظلاً آخر يتحرك، فالتفت بجسده ليبحث عما رَآه، وهنا وجد عدة أطياف تظهر أمامه الواحد تلو الآخر حتى باتت القاعة مكدسة بهم، ثم تقدمهم طيف كأنه قائدهم وأشار لزين وللأطياف الأخرى أن يتبعوه عبر السرداب، وبالرغم من دهشته بدأ يتلمس طريقه معهم وقد أخفض رأسه؛ ليستطيع المرور من هذا الممر الضيق والأطياف بجواره تمر بسرعة من حوله، حاول أن يسرع في الخطى ليصل سريعًا إلى زينة، ولكن الممر كان طويل لا يستطيع أن يرى نهايته بسبب الظلام الحالك، حينها بدا أنه آن الأوان لكي يستغل قدراته، فقام بإشعال النيران بحركة صغيرة من يده في المشاعل الموضوعة بداخل الممر ليصبح مضاء بالكامل حتى النهاية.

تحرك زين سريعًا حتى وصل إلى آخر السرداب ليجد نفسه في قاعة كبيرة بها أعمدة وتماثيل كثيرة لا يعرف معظمها، ثم نظر في منتصف القاعة فوجد زينة تقف وهي تميل بجذعهاعلى صندوق كبير يشبه التابوت ولكنه مختلف تمامًا عن التوابيت التي رآها، حتى أنه مختلف عن شكل التوابيت الفرعونية الموجودة بالمعابد.

هتف زين باسمها ولكنها لم تجب، ويبدو من النظر إليها أنها لا تسمعه ولا تدرك وجوده نهائيًا، بل استمرت على فعل ما تقوم به وهو فتح الأقفال واحد تلو الآخر من على التابوت وهي تتمتم بلغة غريبة وكلمات أغرب، تقدم نحوها حتى يمنعها ولكن ما أعاقه عن فعل هذا، تلك السيوف المعلقة في الهواء في اتجاهها، كلما حاول الوصول إليها، تقترب السيوف منها بغرض الفتك بها.

وقف يشعر بالعجز حتى أنه منع الأرواح من التدخل حتى لا تتأذى حبيبته، وقف ولا سبيل لديه سوى انتظارالمحتوم، فلم يعد هناك مجال للمراوغة أو التأخير، يجب أن تنتهي تلك اللعنة الآن، استمر في مشاهدتها حتى وصلت للقفل الأخير لتفتح معه أبواب الجحيم عليهم جميعًا، ظل يتأملها وهو يشعر أنه يراها للمرة الأخيرة، ويتمنى من داخله ألا يصيبها أي شيء.

ثم حانت اللحظة الحاسمة، اللحظة التي انتظرتها الأجيال المتلاحقة آلاف السنوات، لحظة المواجهة التي ستحدد من الذي سيربح تلك المعركة، من الذي سيستطيع أن يهزم الآخر، اللحظة التي ستحدد مصير تلك السلالة، هل ستنعم بالراحة؟ أم ستظل ملعونة حتى يوم البعث .

كانت زينة تقوم بفتح الأقفال التي على التابوت حتى وصلت للقفل الأخير الذي صدر منه صوت غريب يشبه الصرير، ثم ارتفع غطاء التابوت ولمح الجميع ظل تحرك بسرعة شديدة وارتفع إلى الأعلى ليختفي خلف أحد الأعمدة.

كان زين نظره مثبت على زينة التي بدأت تستعيد وعيها كأنها كانت في غفوة عميقة ثم جاءت الصحوة، وفِي نفس اللحظة بدأ الضوء الذي ينبعث من القلادة يخبو تمامًا، فهرع إليها ليجدها في حالة من الصدمة شديدة، تتلفت حولها وهي لا تستطيع استيعاب ما حدث؟، وأين هي؟ وما الذي أتى بها لهذا المكان الغريب؟.

وقف يحاول تهدئتها وهو يقول: هل أنتِ بخير؟.

فنظرت له بعيون يملأها الدهشة والخوف والشك ثم قالت بصوت متقطع: أين... أين أنا؟، ماذا... ماذا حدث؟، متى عدت؟.

فأجابها زين بتساؤل: ألا تتذكرين أي شيء مما حدث؟.

وضعت يدها على جبهتها تحاول أن تتذكر رغم الألم الشديد الذي تشعر به في رأسها، وأجابت بقلق والدموع تختلط بكلماتها: لا... لا أتذكر أي شيء.

وهنا قاطعهم صوتٌ قويٌ قادمٌ من خلفهما، كلماته قاطعة لا تترك مجالاً للشك عن هوية صاحبها وهو يقول: انتظرت تلك اللحظة طويلاً، وبفضل حبيبتك وصلت إليها بسهولة، والآن لن يستطيع أي أحد إيقافي مرة أخرى.

التفت زين لمصدر الصوت، كان هو، شيشنق يقف أمامه بشحمه ولحمه، عيناه متقدة بالشر تشعر كأن ألسنة اللهب تتطاير منها، وقف ينظر له وهو يُحدِّث نفسه: إذن هذه هي اللحظة المنتظرة، لا مجال للتراجع ولا شك في أن هذا هو القدر لن يتغير، يجب أن أنتصر لست أملك بديل آخر، ولا يوجد وقت للخوف، فقط القوة والثقة هما مفتاحي النجاح، يجب أن يشعر أننا متساويان بل أنني أقوى منه.

ابتسم زين بهدوء كأنه يوم طبيعي له كباقي الأيام وقال: بلى، هناك من يستطيع إيقافك، أنا، وتلك المرة ستكون للأبد.

أطلق شيشنق ضحكته المرعبة وقال في محاولة منه لإرباكه: أنت!!، وكيف هذا؟، أني أستمع لصوت أسنانك التي تصطك من الخوف، صوتها يصل إلى أذني.

فأجاب زين على ضحكته بضحكة أعلى منها وقال: يبدو أن سمعك قد ضعف مع مرور الزمن ولَم تعد تستطيع أن تفرق بين صوت أسناني وصوت أقدامك المرتعشة والتي لم تعد قادرة على حملك، لك عذرك فالعمر تقدم بك كثيرًا حتى وإن لم يبدُ هذا على هيئتك.

ثم أنهى الحديث قائلاً: كفى كلامًا.. وأطاح بشيشنق إلى أحد الأركان بحركة صغيرة من يده ليرتفع في الهواء ثم يسقط ويرتطم بقوة في أحد الأعمدة الكبيرة، والتفت سريعًا لزينة ليحثها على المغادرة: أهربي زينة.. أهربي سريعًا.

أما هي فقد وقفت كالمشلولة لا تعرف ماذا تفعل، الصدمة شلت

تفكيرها وحركتها فأصبحت كالتمثال؛ لذا لم ينتظر زين طويلاً وأشار إلى أحد الأرواح قائلاً: رافقها حتى البيت، لا تتركها، وطلب منهم التحرك الآن، وعندما التفت نحو شيشنق مرة أخرى وجده واقفًا على قدميه يكاد ينفجر من الغضب، ثم فجأة أصبح يرتفع في الهواء؛ ليصطدم بأحد الجدران ويسقط أرضًا.

نهض زين مسرعًا ليعاود القتال ولكنه شاهد شيشنق يتحكم في زينة ويجذبها إلى الخلف، ثم قام برفعها في الهواء حتى كادت تلتصق بسقف القاعة والسيوف عادت مرة أخرى تحاوطها من كل مكان.

رأى زين كل هذا فصرخ فيه صرخة قوية قائلاً: شيشنق.. يا ملعون... أتركها... لا دخل لك بها.

نظر له الملك بخبثٍ شديد ثم ضحك بسخرية وقال: طلباتك مجابة يا صاحب الجلالة، وقام بكف يده عن زينة ليتركها تهوي على الأرض وتسقط من أعلى القاعة.

الفصل الثامن عشر

شاهد زين جسد زينة وهو يهوي من أعلى وسرعان ما سيرتطم بالأرض، وفِي لمح البصر كان يرتفع في الهواء بأقصى سرعة صوْبها ليلتقطها ويختفيا سويًا تاركًا شيشنق يُحدِّق أمامه في الهواء الفارغ غاضبًا يكاد يُجَن مما حدث، وأكثر ما قد يفقده عقله هو أن عدوه أصبح يمتلك قوى كبيرة في وقت قصير ، وأن المواجهة بينهما لن تكون كما توقع، ظل يتحرك في دوائر مفرغة ثم صرخ صرخة مدوية أفزعت الأموات قبل الأحياء.

لحظات قليلة وكانا في المنزل، لم تعِ زينة ما حدث، الصدمات تتوالي عليها تباعًا، ولا تترك لها الوقت حتى لالتقاط الأنفاس، كانت تحاول أن تقنع نفسها أن عينيها تخدعها، ولكن لن يفيد هذا، ظلت تحدث نفسها وتتساءل كيف حدث هذا؟ ومتي؟ كيف استطاع زين أن يصل بهما إلى هنا هكذا؟ أسئلة كثيرة تدور في ذهنها ولا تجد لها إجابة، وضعت قدميها على الأرض وابتعدت عنه سريعًا وهي تشعر أنها أصبحت تائهة لا تعلم ممن تشعر بالخوف، ولمن تطمئن وتأمن على نفسها.

أدرك زين ردة فعلها وشعر بخوفها الذي لا يستطيع أن ينكره، فهو شعور مبرر نظرا لكل ما مرت به؛ لذا حاول أن يتركها حتى تستعيد هدوءها ثم يتحدث معها، كانت ترتجف من الخوف تلاصق جسدها إلى الحائط

كأنه حصنها وملاذها، وقف يتمنى لو يستطيع أن يقترب منها ويحتضنها لعلها تهدأ، ظل يتأملها في صمت عندها وقعت عينه على القلادة التي بدأت تتوهج بشكل مريب حول رقبتها، فهرع صوْبها وقبض بيده عليها ثم اقتلعها من رقبتها بقوة قائلاً: إذن هكذا يتحكم بك، تلك هي وسيلته التي تمكنه من ملاحقتنا دائمًا، ولكن لن أدعك تفعل بعد الآن، ثم قام بسحقها بين يديه لتتحول إلى غبار.

تسمَّرت زينة مكانها وهي تنظر له وقالت: ماذا يحدث؟، من أنت؟، أين زين؟.

اقترب منها بحذر شديد وحاول تهدئتها وإدخال الطمأنينة إلى قلبها قائلاً: اطمئني يا زينة، أنا زين، أعلم أن كل ما يحدث الآن من الصعب عليكِ استيعابه، وأنك مررت بالكثير، ولكني أتمنى أن يثق قلبك بي، وألا يختلط الأمر عليكِ، ثقي أنني أفعل كل هذا لحمايتك، وأني لن أدع أي شيء يحدث لكِ.

بدأت نبضات قلبها المتسارعة تهدأ قليلاً، وصوْت أنفاسها المتلاحقة يستكين، وهنا أضاف زين وهو يجذبها من يدها: يجب أن تغادري المكان الآن، يجب أن تكوني بمنأى عنه.

جذبت زينة يدها من يده وهي تصرخ به قائلة: ماذا تقصد؟ إلي أين سترسلني؟، أنا لا أشعر بالأمان إلا بجوارك، لا تتركني مرة أخرى لم أعد أقوى على تحمل الخوف.

تألم كثيرًا لحالها ولشعور الخوف الذي أصبح يلازمها ولكن لا مفر من

هذا، يجب أن تكون بأمان وذلك لن يحدث سوى ببعدها عنه، اقترب منها ومرر يده على رأسها وقال: حبيبتي، وجودك الآن بجواري يشكل خطرًا على كلينا، شيشنق يعلم أنكِ نقطة ضعفي ويستغل هذا جيدًا، وأنا أصبح مشتتًا عندما تكونين بقربي؛ لأني دائمًا أفكر في حمايتك وأخشى أن يحدث لك أي شيء؛ لذا أرجوكِ ليس هناك وقت للتفكير، أوالمجادلة، يجب أن أطمئن أنكِ بمأمن أنتِ وأمي.

صمتت زينة ونكست رأسها فهي تعلم جيدًا أن ما يقوله هو الصواب، وأنها إذا أرادت لزين النجاة مما هو مقبل عليه يجب أن لا يكون هناك ما يقلقه أو يشغل تفكيره؛ لذا أومأت رأسها بالموافقة أخيرًا في استسلام، فصاح زين مناديًا والدته التي خرجت مسرعة من غرفتها وهي لا تعلم ما حدث، ولكنه لم يمنحها أي مجال للتساؤل وتحدث سريعًا قائلاً: أين مازر؟.

هتفت غالية بصوت قوي: ماااااازررررر، ليظهر أمامهم في الحال.

وبدون إبداء أي أسباب شرع زين في إصدار أوامر غير قابلة للمناقشة: مازر يجب عليك الآن أن تأخذ أمي وزينة وتخفيهم في عالمك، يجب ألا يستطيع شيشنق رؤيتهما أو العثور عليهما، وهذا يجب أن يتم في الحال.

نظر مازر لزين ثم أشاح نظره صوْب غالية في انتظار الكلمة الأخيرة منها وبالفعل أجابته: قم بالأمر، ولكن بدوني، ثم نظرت لولدها وأضافت: وكلمتي غير قابلة للنقاش.

صمت زين فهو يعلم والدته جيدًا، ويعلم كم هي صعبة المِراس ولن يجدي معها أي حديث؛ لذا امتثل لها بدون أي مجادلة.

ثم أردفت غالية لمازر قائلة: تتأكد من أنها في مأمن ثم تأتي سريعًا ومن معك.

أجابها مازر وهو يقبض على ذراع زينة: أمرك مطاع غالية، ثم اختفى بها.

تأملت غالية ولدها في قلق ثم قالت بترقب شديد: والآن، ماذا بعد؟، هل ستواجه؟ أم ستنتظر.

استمع زين إلى أمه في حيرة، فهو لم يفكر بعد، ولا يملك الإجابة على تلك الأسئلة، ولكن القدر لم يمهلها كثيرًا، وجاءت الإجابة سريعًا بقذائف من اللهب، تنهال عليهما من كل صوْب كأنها كرات نارية ضخمة تتساقط على المنزل حتى أنها أحدثت ثقوبًا به، وأشتعل كل شيء من حولهما في لحظات قليلة.

نظرت غالية حولها على النيران التي تأكل منزلها، ولكنها لم تتأثر أو تفزع، أما زين فالصدمة جعلته لم يحرك ساكنًا، حتى صرخت به أمه قائلة: الآن هو وقت الحسم، إما أن تثق بنفسك وبقوتك أو لا، لا يهم ما يحدث لنا، الأهم أن تعلم أني أثق بك.

كانت الجدران تشتعل من حولهما، وصوْت ألسنة اللهب وهي تلتهم كل شيء تصل إليه كان مخيفًا، وبرغم قوة زين إلا أن الموقف شُل تفكيره وجعله ضعيفًا مذبذبًا لا يعرف كيف يتصرف؟ كان يقف في منتصف الغرفة مع والدته، التي كانت تقف في صلابة وثبات وهي قابضة بيديها

على كتفيه تنظر له في عينيه وكأن لا يوجد شيء يحدث حولهما، ثم أضافت: أخبرني الآن، هل ستزيل كل الخوف من داخلك وتثق بنفسك؟ أم ستجعل خوفك هو من يهزمك؟.

صمت وهو يتأمل عيون والدته التي تنظر له بقوة وتحدٍ، وتمنى في قرارة نفسه أن يكون مثلها في بأسها وشجاعتها، فما كان من غالية سوى أن همست بكلمات قليلة وقالت: أعلم أني أخطأت، أخفيت عنك الحقيقة سنوات طويلة ولَم تعرفها إلا وأنت على شفا الحرب، نعم أخطأت في الانتظار، ولكني كنت أحميك، كنت أنتظر الوقت المناسب؛ لأني أعلم أن القوة كامنة بداخلك، أنت فقط لم تعتد عليها، ثم صمتت قليلاً تفكر إلى أن لاحت لها فكرة وبالفعل بدأت في تنفيذها على الفور وهي تقول: يبدو أنك تحتاج إلى مساعدة أخيرة منى؛ لذا تلك ستكون المرة الأخيرة التي سأفعل فيها هذا، ثم وضعت يدها على جبهته والأخرى على قلبه وبدأت تتمتم بكلمات قليلة حتى لمعت جبهته وأصبحت تشع بقوة وكذلك قلبه، كما لو كان هناك مصابيح أضيئت بداخلهما، وما أن انتهت حتى خارت قواها وكادت تسقط أرضًا قبل أن يصل إليها زين ويضمها بقوة بيده، وباليد الأخرى أخمد النيران بدون حتى أن ينتبه أنه فعل هذا.

وصاح يهتف: أمي، ماذا حدث؟، ماذا فعلتي؟، أمي.

فتحت غالية عيونها ببطء ووهن شديد وتحدثت بصعوبة قائلة: تلك هي هديتي الأخيرة لك، لقد منحتك ما تبقى من قدراتي حتى تتحد مع قوتك التي بداخلك، لن تشعر بالخوف والرهبة ثانيةً، أنت الآن لم تعد

حتى تحتاج للتفكير، لقد أتحدت مع قوتك وسترشدك للتصرف الصحيح، لقد فعلت هذا بما تبقى لديّ من قوة؛ لذا أنا ضعيفة الآن قد أكون استهلكت كل قواي ولَم أعد أملك أي منها فلا تهدرها يا ولدي، ولكن أيضًا لا تتركها تسيطر عليك حتى لا تتحول لشيشنق آخر.

نظر زين إلى والدته بحب شديد: أعدك أمي لن أهدرها، لن أخيب أملك بي.

في تلك اللحظة ظهر مازر وعندما رأى غالية على هذا النحو هرع إليها قائلاً: ماذا حدث يا غالية؟ ما الذي ألمَّ بها؟، صمتت غالية فهي لم تعد قادرة على الحديث فقط تريد أن تغمض عينيها وتهدأ، فقط بعض الهدوء بعد عناء طويل لا ينتهي أبدًا.

فأجابه زين قائلاً: إنها بحاجة إلى الراحة، والآن لا أعتقد أنها سوف تمانع أن تذهب إلي زينة، لقد قامت بكل ما تستطيع القيام به، وقد حان الآن دوري حتى أنفذ ما قُدر لي؛ لذا أرجوك أعتني بها جيدًا حتى تصل إلى زينة، حملها مازر وقام بتنفيذ ما طلب منه وهو يشعر بخوف شديد عليها، لا يعلم ماذا يفعل من أجلها؟ سوى حمايتها، وبمجرد أن وصل إلى قصره وضعها بالفراش وطلب من زينة ملازمتها والاعتناء بها، ثم أمر أتباعه بحراستهما.

تحرك زين بمجرد أن اختفت والدته مع مازر خارج البيت، كان يمشي بهدوء لم يكن يحاول حتى أن يفكر في شيء أو يفعل كان كل ما يريده يحدث، كل الأشياء كانت تتحرك من حوله لتفسح له الطريق للخروج،

الجدران كانت تهتز بشدة والباب اقتلع من مكانه وطار في الهواء، كل شيء ينبئ بأن القادم مختلف.. خطير.. ويجب الحذر منه.

الفصل التاسع عشر

لم يعد شيشنق يطيق الانتظار أكثر لذا غادر المقبرة إلى المكان الذي أرشدته القلادة إليه قبل أن يفقد أثرها تمامًا، اتجه إلى هناك وهو يتوعد أن يفتك بالجميع، لم يعد يريد المماطلة بل فقط يسعى إلى الانتقام، استطاع الوصول إلى المكان ووقف يراقب المنزل بُرْهة من الوقت وهو يفكر كيف يحقق غايته؟ ثم لمعت عيناه وانفرجت أسارير وجهه بضحكات شيطانية، وبدأ يُمطر البيت بوابل من الكرات النارية الملتهبة، كان يتمنى أن يقضي عليهم جميعًا، يريد أن يراهم وأجسادهم تشتعل بها النيران كما رأى جسد حبيبته وولده بعد أن قام زين بإحراقهما، ظل يطلق النيران بيده التي كانت تهبط في كل مكان حتى تدمر سطح البيت تقريبًا، واشتعلت الجدران بالكامل، شعر أنه أخيرًا قد اقترب من غايته، كان يشاهد البيت والنيران تزداد وألسنة اللهب تتطاير وتعلو بسعادة ونشوة النصر، مترقبًا أن يراهم يهرعون من وسط النيران وأجسادهم مشتعلة وصرخاتهم تعلومن شدة العذاب، هذه الأصوات ستطرب أذنيه كأنها أعذب الألحان.

مكث بُرْهة ينتظر ولكنه تفاجأ أن النيران خمدت ولَم يخرج أي شخص بعد، مرَّ بعض الوقت ثم سمع أصوات قوية تصدر من الداخل كما لو كان هناك صراع، وما هي إلا لحظات وشاهد الأبواب تقتلع من

مكانها وتتطاير في الهواء، وجدران المنزل تهتز بشدة ثم ظهر ظل من بين الدخان الكثيف يقترب منه ببطء، هو.. أيعقل هذا!!، ما زال حيًا لم يصبه أي مكروه... لا يوجد به أي خدش... يتقدم منه بهدوء وقوة وكأن الجاذبية هي التي تحركه... قدماه لا تكاد تلامس الأرض... وعيناه مختلفتان ليست كسابق عهدها... هناك شيء حدث... شيء غريب لا يعلم ما هو... ولا حجم خطورته... ولكنه على يقين أنه خطير.

اقترب زين من شيشنق بهدوء حتى أصبح في مواجهته مباشرة، ثم نظر له في عينيه نظرة جعلت الخوف يتسرب إلى قلبه قليلاً وبنفس الهدوء، أطبق بيده على عنقه ورفعه إلى الهواء وهو يقول: طوال الشهور الماضية كنت ترى حُلمي... والآن ستتذوق غضبي، وبدأ يسحق جسده بضربات متتالية في الأرض ليرتطم رأسه بقوة مما جعل الأرض تتصدع من تحته.

عاود الكرة عدة مرات حتى انفلقت الأرض تمامًا أسفله، وبصعوبة شديدة استطاع شيشنق أن يحرر عنقه من قبضة زين ثم تمكن أخيرًا من أن يحكم قبضته عليه ويدفعه بقوة إلى أعلى لينطلقا سويًا كالسهام النارية التي تخترق السماء، كشعاع من اللهب يحترق في الهواء، ظل يدفعه هكذا إلى أن أصبحا وسط المحيط فقام بمباغتته بلكمة قوية ليهوي على إثرها زين في المياه بسرعة شديدة فتنشق المياه وتتناثر بقوة كما لو كان انفجارًا شديدًا قد حدث.

اقترب شيشنق من المياه وعلى وجهه ابتسامة خبيثة ونشوة بالنصر الذي يشعر أنه اقترب من تحقيقه، وخاصة أنه ظل يراقب المياه بُرْهة

ولكن ليس هناك أي أثر لزين لقد ابتلعه البحر ولَم يلفظه ثانيةً، ظل يترقب خروجه ثم بات متأكدًا أنه قد هلك أخيرًا لذا استدار ليعود أدراجه، كان قريبًا من الماء يكاد يلامسها وكأنه يطفو فوقها، بدأ رحلة العودة وفجأة وجد نفسه مغمورًا بالمياه لا يعرف كيف؟، حاول أن يطفو ويصل للأعلى ولكنه لم يستطع، رأسه كانت ترتطم بمانع صلب لا يتزحزح، يرى السماء فوق رأسه ولكنه لا يقوى على إخراجها، ظل يتخبط في كل اتجاه محاولاً كسر هذا الحاجز بكل ما أوتي من قوة ولكنه كان شديد الصلابة لا يتحطم ثم وقعت عيناه عليه... نعم هو مرة أخرى.. يقف أمامه يتابعه بابتسامة مرسومة على وجهه، وجهه الذي يود أن يزيله من الوجود، تجمد في مكانه يبادله النظرات بقوة وحزم، بدأ يستجمع شتات نفسه ويستوعب أن زين قد سجنه بداخل فقاعة كبيرة من الماء تبدو كصندوق زجاجي كبير، سكن شيشنق وحبس أنفاسه، حاول أن يتماسك حتى يستطيع الخروج من هذا المأزق وهو يرى عدوه يتلاعب به، حاول الثبات أكثر فأكثر ولكن لم يعد يستطيع، بدأ يشعر بخروج الروح من جسده، أوصاله جميعها تنتفض، عيناه تجحظ من شدة ألم الاختناق، المياه بدأت تتسرب لجوفه، رئتاه على وشك الانفجار، لم يعد يقوى على التحمل، بات جسده ينتفض بقوة، إلي أن انتابه الوهن وسكنت حركته وبدأت عيناه تستسلم للموت الذي بدأ يتسلل إلى جسده ليحل محل الروح التي تنسل منه.

تململت في الفراش وهي ما زالت تشعر بوهَن شديد، جفنيها ثقيلان لا تستطيع فتحهما، جسدها يؤلمها تحاول أن تعدل من وضعية نومها إلى

الجانب الأيسر ولا تقوى على الحركة، تشعر بأنها تغوص في مياه عميقة ضحلة حاملة على جسدها أحمالاً ثقيلة تعوقها عن الحركة، جاهدت نفسها لتفتح عينيها لعلها تفيق من هذا الكابوس الذي تشعر به، حاولت بشدة أن تستعيد قدرتها على الحركة إلى أن استطاعت أخيرًا أن تبصر الضوء، ضوءًا غريبًا يميل إلى الاحمرار يؤذي عينيها أكثر ولكن أين هي؟ ما هذا المكان الغريب؟، أين ولدها؟.

حاولت أن تفتح فاهها لتهتف عليه قد يستطيع سماعها، شفاهها تتحرك ولكن لا يوجد صوت، حاولت بكل طاقتها أن تتحدث فلم يصدر منها سوى صوت مبحوح غير مفهوم، هتفت بداخلها ودموعها تتساقط: زين.. ولدي، ثم شعرت بيد تلمسها، تكفكف دمعها، حاولت الالتفات إلى الجوار لم تستطع إلى أن وجدت زينة أمامها، تقترب منها أكثر قائلة: استريحي يا أمي لا تجهدي نفسك، ستكونين بخير قريبًا بإذن الله.

تشبثت غالية في ملابسها وحاولت جذبها نحوها لتميل عليها بأذنها ثم جاهدت نفسها علي الكلام حتى قالت بصوت يكاد يكون مسموع: أين ولدي؟، ما هذا المكان؟.

صمتت زينة قليلاً لا تعرف بما تجيب؟، ثم قالت بارتباك: نحن عند مازر، أما زين فلا أعرف أين هو؟ ولكن أتوسل إليكِ لا تجزعي أنا على يقين أنه بخير.

ما هذا الظلام الحالك؟ هل فقدت بصري؟، أم أنا الآن في قبري، أسئلة تدور بداخله ولا يعلم الإجابة الصحيحة، ما زال يشعر بالاختناق، صدره

يؤلمه، هل هو ميت؟، إذن كيف مازال يتألم؟ حاول أن يتحسس طريقه أن يعرف أين هو؟ ظل يتحرك في كل الاتجاهات لعله يجد شيئًا، وبالفعل رأى بقعة ضوء صغيرة جدًا ولكنها كفيلة إلى إرشاده، اتجه صوبها في حذر يتحسس كل خطوة يخطوها إلى أن اقترب تمامًا وأدرك أنه أمام بابٍ مغلق، مد يده يحاول أن يجد المقبض حتى ارتطم بيده فقبض عليه وأداره ببطء وترقب بحذر لما قد يوجد خلفه، فتح شيشنق الباب ليجد أمامه بستانًا كبيرًا به أزهار من شتى بقاع الأرض، والسماء صافية زرقاء تزينها الشمس بأشعتها البراقة، شرد قليلاً في هذا المنظر البديع الذي يسحر أي مخلوق حتى لو كان الشيطان نفسه، ثم تنبه أنه لمح خيال امرأة تقف وسط الأزهار ولكنه لم يستطيع أن يتبين ملامحها فهي بعيدة جدًا عنه، ولكن هناك شيئًا بها مألوفًا، يشعر أنه يعرفها جيدًا؛ لذا تحرك صوبها في خطوات متثاقلة ثم بدأ يسرع الخطى قليلاً وكلما كان يقترب لهفته على رؤيتها كانت تزداد حتى أصبح يعدو ليصل إليها.

قطع البستان بأكمله في بضع دقائق حتى وصل إليها منهكًا متقطع الأنفاس، فتريث قليلاً حتى يهدأ ويلتقط أنفاسه قبل أن يحدثها، لم تمر سوى لحظات ثم استمر في التقدم بحذر يحاول أن يسكت الإحساس الغريب الذي ينتابه تجاه تلك المرأة وعندما أصبح خلفها مباشرةً، مد يده بتردد شديد ليلمس كتفها برقة وهو يقول: أعذريني سيدتي هل... التفتت تواجهه وما أن وقعت عيناه عليها شهق من الدهشة الشديدة، لم يصدق عينيه شعر أنه يتوهم لا يمكن أن تكون هي ثم حاول أن يتكلم فخرج صوته متقطعًا: تـــ.....تيـــ.....تيرا!!!!

الفصل العشرون

تيـــرا..

لحظات قاتلة بين الشك واليقين، بين الوهم والصدق، بين الحقيقة والخيال، مشاعر عديدة تجتاحه، عيناه ترغب في أن تصدق ما تراه وقلبه يتمنى أن لا يكون مجرد حُلم عابر يمر به ويستيقظ بعدها على الكابوس الذي يحيا فيه، أحاسيس متشابكة كثيرة ولكن طغى عليهم جميعًا حبه لها، لقد ذاب عشقًا فيها والآن يحترق بدونها، احتمل الكثير منذ فراقها، وحاول أن يختبئ خلف انتقامه حتى لا يغلبه الحزن، ولكنه لم يعد يقوى على المراوغة أكثر، فإن الألم يعتصره من الداخل، يجتاحه ويحتل كيانه حتى أنه بات لا يجد نفسه.

كان يتأملها كأنها طيفٌ جميل يمر ثم سيرحل، لم يعد يحاول أن يسيطر على حزنه، لم يعد يريد هذا، الدموع التي سجنها خلف غضبه الآن أطلق سراحها، تركها تتحرر من عينيه، تنطلق لتحفر طريقها في وجهه وتذكره بما فقد، وكأنه لا يكفيه ألمه، وحيرته وتخبطه بين الحقيقة والوهم، يجدها ترفع يدها وتجفف دمعه بأناملها الصغيرة الرقيقة التي لطالما عشقها، يدها الناعمة لامست وجهه فانتابته القُشعريرة ليرتجف معها جسده من أثر لمستها، نعم أنها هي لا يمكن أن يكون كل هذا خيال.

كان يُحدِّث نفسه وهو يصارعها، يرغب بشدة أن يكون كل هذا حقيقي أو فهو لا يريد أن يستيقظ أبدًا، أغلق عيناه ونطق باسمها بدون وعي فقط يريد أن يسمعه مرة أخرى، يتلذذ به بين شفتيه: تيرا.

_ حبيبي لقد عدت لي.. كم اشتقت إليك؟... كم حلمت بتلك اللحظة طويلاً؟... وكم أضناني فراقك كثيرًا؟، لما رحلت؟، لقد طالت غيبتك.

أرخى شيشنق عينيه وفتحهما ببطء، نعم مازالت أمامه لم تبرح مكانها، ليست وهم، هذا هو صوتها، تلك هي كلماتها لا يمكن أن يخطئها.

أحاط كتفيها بكفيه وتأملها جيدًا، عيناه سارت تجري على خطوط وجهها، عنقها، وجسدها، يشعر أن الكلمات ستخرج متبعثرة من فمه ولكن لقد اشتاق لها كثيرًا: تيرا.. حبيبتي.. أنتِ حقيقة لست أتوهم، لستِ دربًا من خيالي، صحيح!!.

نظرت له تيرا بشغف وحب كبير، قلبها يرقص طربًا من رؤيته، قدماها تكاد لا تلامس الأرض من شدة شوقها له، وجسدها تسري به موجات من الحنين واللهفة للمساته: نعم أنا أمامك، لست وهمًا أو خيالاً.

تلاقت الأعين وتعانق القلبين في عناق طويل، والتحم الجسدان بعد فراق طويل لا يفصلهما شيئًا، لم يكن يريد أن يتركها تبتعد عن صدره، لم يكن ليقبل أن ترحل ثانيةً، خوْف شديد انتابه من أن تتركه مرة أخرى وحيدًا، ثم تذكر ولده فهو لم يراه معها فهمس في أذنها برفق قائلاً: أين أوبوت؟.

كانت تيرا ملتصقة به، متشبثة بين أحضانه، تدفن وجهها في صدره، وتستنشق عبير جسده الذي افتقدته كثيرًا، آااه كم اشتاقت له ولصوته، لمساته، قبلاته، حتى غضبه اشتاقت له، أنها الآن خدرة وكأنها ثملت من شراب حبه ولا تريد أن تصحو أبدًا، وعندما سمعته أجابت: ينتظرنا في بيتنا، نحن ننتظرك هناك منذ زمنٍ بعيد، ولكنك لا تأتي أبدًا.

أبعدها شيشنق عن صدره وحَدَّق بها في ذهول قائلاً: عما تتحدثين؟، أي بيت هذا؟، أنا لا أفهم شيئًا، ثم ظل يتلفت حوله وأضاف: أين نحن؟، ما هذا المكان؟.

ابتسمت تيرا له وأجابت: أما زلت لا تعلم؟، أم أنك لا تريد أن تعترف بهذا؟.

زادت دهشته وقلقه من أجابتها ولَم يعد يعرف بما يجيب، التزم الصمت وهو يحاول أن يدرك ما يدور حوله، ولَم يمض سوى لحظات قليلة حتى وجد تيرا تبتعد عنه وتمضي في طريقها.

هرع خلفها يجذبها من ذراعها قائلاً: إلي أين؟، أسترحلين مرة أخرى وتتركيني!!!.

حررت تيرا ذراعها من يده وأجابته: أنا لم أرحل يومًا، أنت من رحلت، أنا الآن سأعود إلي البيت مع ولدنا وسننتظرك، عُد إلينا، ولا تغب هكذا، ابتعد عن الانتقام وستعلم كيف تجدنا؟ حرر قلبك وعقلك من الغضب، وتذكر حبنا وهو سيدلك على الطريق الصحيح، فقط أسرع ولا تنتظر

كثيرًا، حتى لا تفقدنا، هيا أفق أنت لا تنتمي لهذا المكان، أفق، ارحل عن هنا، ولكن لا ترحل عنا، فنحن ننتظر أن تحررنا مما نحن فيه، فقط عد إلى نقطة البداية، وستجد الحل، عد إليها ولا تتأخر.

كانت تتحدث وهي تبتعد شيئًا فشيئًا ثم تلاشت تمامًا، وتركته وحيدًا في هذا المكان الغريب لتزيد من حيرته وتجعله يتساءل، هل رآها بالفعل؟، أم كان يتوهم؟.

وفجأة شعر بألم شديد في صدره، وكأن هناك من يحاول أن يسحقه، وبدأ يترامى لأذنه صوتٌ يأتي من بعيد لا يستطيع أن يتبينه جيدًا، ثم ازدادت الآلام بصدره وبدأ يشعر بالاختناق الشديد الذي حال دون أن يستطيع التنفس؛ لذا حاول أن يسعل بقوة لعله يستطيع أن يدخل الهواء إلى صدره، كان الألم يزداد والاختناق يشتد، وكلما كان يسعل يجد حشرجة في رئتيه تحول دون أن يتنفس، استمر هكذا يجاهد أن يبقى على قيد الحياة إلى أن بدأت المياه تتدفق من فمه وتخرج من رئتاه لتسمح بدخول الهواء، شهق شيشنق بقوة كما لو كانت الروح قد غادرته ثم عادت مرة أخرى، بدأ الهواء يتسرب إلى صدره والألم يزول تدريجيًا.

كان مستلقيًا على الأرض يحاول أن يستجمع قوته بعد هذا الألم المفاجئ، عازماً على أن يذهب في أثر حبيبته يبحث عنها، وبمجرد أن شعر بأنه يستطيع الحركة، فتح عينيه وهو يجاهد في النهوض، كان كل ما يشغل تفكيره هو زوجته وولده وأنه سيعود إلى المنزل يجدهما؛ لذا لم ينتبه في بادئ الأمر إلى الجاثم فوقه يحاول مساعدته، كانت عيناه مازالت شاردة فيما سبق؛ لذا لم تنتبه لما يحدث الآن.

_ شيشنق... شيشنق... جدي.... هل أنت بخير؟.

أفاق من شروده علي تلك الكلمات، فرفع رأسه ليرى من هذا، ويا لها من صدمة، هو مرة أخرى، ينحني فوقه ليساعده على النهوض، كيف يحدث هذا؟.

كان شيشنق ينظر إلى زين وهو يكاد يُجن، لم يعد يعلم، أيهما الخيال؟، وأيهما الحقيقة؟، كان يحدق به وهو يحدث نفسه، كيف يحدث هذا؟، ظل يردد هذا التساؤل بداخل رأسه، ثم انتفض واقفًا، لينقض على زين وهو يردد نفس السؤال بصوتٍ أعلى: كيف يحدث هذا؟، أين هي؟، ماذا فعلت بها؟، لقد كانت معي الآن؟، ماذا حدث؟.

شعر زين بالحزن الشديد من أجله؛ لذا حاول أن يهدئ من روعه ثم قال: لقد غرقت في البحر، وكدت أن تموت، بل لقد مت بالفعل عدة دقائق، ظللت أحاول فيها أن أفعل أي شيء لأعيدك مرة أخرى، ولكنك لم تستجب، كنت أحاول أن أخرج المياه من صدرك حتى تستطع التنفس مرة أخرى، وعندما بدأت أفقد الأمل، وجدت المياه تخرج من فمك، وبدأت تسعل بشدة، ثم ها نحن هنا الآن.

صمت شيشنق قليلاً وهو مطرق الرأس، جريح يتألم كما لو كانت حبيبته قد ماتت من جديد، كان يبدو كالهائم في الصحراء بلا طعام أو ماء، وعندما وجد الماء اكتشف أنه سراب ليس له وجود، كانت تيرا مجرد سراب، حُلم هاجمه في سكرات الموت، لا لم يعد يحتمل هذا الألم، لم يعد يستطيع كبته مجددًا، لم يعد لديه دفاعات يختبئ ورائها ليخفي

وجعه، كاد ينفجر قلبه من شدة الحزن، أصبح يتمتم بكلمات في البداية لم تكن مفهومة ثم أصبحت أوضح فأوضح إذن تيرا.... تيرا... كانت حُلمًا.... لم يكن أيًّا من هذا حقيقي.. لقد كنت أهذي أثناء الموت.. أم كانت بالفعل حقيقة... ما زلت أشعر بمذاق شفاهها على شفاهي، فكيف وربي يكون مجرد حُلم؟، رائحة شعرها، أناملها... نعم أناملها، لقد ارتعش جسدي من أثر لمستها، عناقنا، جسدي مازال محمومًا من آثاره، لو كل هذا حُلم، فما هو الواقع؟، ماذا أفعل؟، ماذا أفعل؟.

ظل يحدث نفسه ثم بدأ يزداد انفعالاً ودخل في حالة من الهياج الشديدة وأصبح يحطم كل ما يراه أمامه.

وقف زين يشاهده وهو يتألم من أجله، أنه يعلم جيدًا ما يمر به، ثم حاول الاقتراب منه وتهدئته ولكنه لم يستطيع بل ازداد الأمر تعقيدًا وصعوبة إلى حد أن شيشنق هاجمه وبدأ يصيح به: أنت الذي فعلت بي هذا، لماذا أنقذتني؟، لقد كنت معها، كنّا سنبقى سويًا إلى الأبد، لماذا فعلت هذا؟، دائمًا أنت المخطئ، في كل مرة تحرمني منها، أنت تستحق الموت آلاف المرات.

كان زين يود لو يستطيع إقناعه؛ لذا أنقذه من الغرق وعاد به إلي المقبرة وانتظر أن يستعيد وعيه، لم يكن يبتغي قتله، أراد أن يحاول معه مرة أخيرة قد تفلح، ولكن شيشنق لم يترك له مجالاً لذلك، انقض عليه كالصاعقة المحمومة التي تصيب كل من حولها، وسدد له ضربات متتالية طرحته أرضًا، ثم رفع يده إلي السماء وبغضب شديد بدأ يخاطب

الرياح كأنها جندٌ مسخرةٌ له: «أيتها الرياح العاتية، هبِي لتقتلعي الأخضر واليابس، هبِي ليعلموا غضبك، هبِي كما لم تفعلي من قبل، هيَّا أريهم قوتك».

مضت لحظات قصيرة ثم بدأت بعض الرياح الخفيفة تظهر وتدريجيًا تحولت إلي رياح قوية شديدة في استطاعتها اقتلاع المنازل أمامها، وقف شيشنق في منتصف القاعة صامدًا كالجبل العتيد لا يتزحزح، الرياح تدور من حوله ولكن لا تقترب منه، أما زين فكاد يُشطر نصفين عندما أطاحت به الرياح صوْب سيفٍ كبيرٍ ذي نصل شديد الحدة يقبع في قبضة تمثالٍ ضخمٍ، لكنه استطاع في اللحظة الأخيرة أن يتعلق بإحدى الأعمدة ويتشبثً به بقوة، وهنا قرر المواجهة، لا مجال للتخاذل أو محاولة إقصائه عن الانتقام، إما نحن أو هو، لا يستطيع خسارة عائلته كلها من أجله.

كان شيشنق يقف بصمود يشاهد الحطام، وفجأة اشتعلت النيران من حوله وتطايرت ألسنة اللهب عاليًا لتمتص الرياح بداخلها وتهدأ حتى اختفت تمامًا، وظل هو محاصرًا بالنيران من كل اتجاه والحلقة تضيق وألسنة اللهب تقترب منه وتحرقه.

ولكنه لم يكن مستعدًّا للاستسلام بعد؛ لذا عاد مرة أخرى مطالبًا السماء بأن تفيض بالأمطار، فتلبي له طلبه وتهطل الأمطار بغزارة وتقوم بإخماد النيران.

وقف الاثنان متواجهان، كُلاً يترقب الآخر، ثم بدأ شيشنق يطلق كرات

نارية متتالية صوْب عدوه، ليقابلها زين بكرات من الصقيع، استمر الاثنان على هذا الحال، حتى انطلق شيشنق صوْبه ليسحقه بمطرقة ضخمة حديدة كانت بجواره، وهنا تيقن زين أن تلك هي النهاية وأنه يجب أن ينتهي سريعًا، وفِي ومضة ضوء أطلق صافرة قوية تصم الأذان، لتكون تلك بداية النهاية.

الفصل الحادي والعشرون

انطلق شيشنق صوب زين بالمطرقة الحديدية حتى يسحقه ويقضي عليه نهائيًا تلك المرة، ولكنه توقف فجأة وأطلق صيحات مفزعة من شدة الألم الذي حل به، سلاسل حديدية طويلة وفِي نهاية كل منها خطاف، كل سلسلة يحملها نَفَر من الجان، يضرب بها جسد شيشنق ليخترق الخطاف جسده ويعلق بداخله، واحدة تلو الأخرى حتى صار جسده مقيدًا من كل صَوْب، ثم تكالب الجان عليه وحاصروه فلم يعد يقوى على الحركة.

وقف زين يشاهد ما يحدث له، وعندما شعر باستسلامه اقترب نحوه بخُطى ثابتة وهو يتلو عليه كلماته الأخيرة: لقد منحتك العديد من الفرص وتلك كانت الأخيرة، كنت أتمنى أن نحيا جميعًا في سلام، ولكن غضبك الشديد وانتقامك أعماك عن كل شيء، لقد فقدت إنسانيتك عندما فقدت زوجتك وولدك، فقدت حتى بصيرتك لم تعد تفكر في شيء سوى الانتقام، لقد دمرت سلالة بأكملها على مدار قرون عديدة فقط لتشفي غليلك من الملكة حور، ويا ليتك فعلت، قتلها لم يُطفئ نار قلبك، لم يمحي حزنك، بل ازداد قلبك سوادًا، أصبحت تبحث دائمًا عن الانتقام حتى من الأبرياء، كنت أود أن تعود إلى رشدك ولكن هذا أصبح محال، فأنت لم تعد بشريًا، لقد تحولت إلى مسخ؛ لذا يجب علينا

القضاء عليك، حتى نستعيد أرواحنا التائهة بسببك.

كان شيشنق راكعًا على ركبتيه، مطرق الرأس، مقيدً، جريحًا، الدماء تسيل من كل مكان في جسده، لقد أصبح الآن الملك المهزوم الذي خسر كل شيء حتى كرامته، ظل ينصت إلى كلمات زين وهو يقطر حزنًا على حبيبته وكلماتها تتردد في ذهنه (عد إلى نقطة البداية) عما تتحدث؟، لا يعلم، ماذا تعني بنقطة البداية؟ ثم رفع رأسه ليواجه زين ووجهه يمتلئ بالحزن والأسى وتحدث له قائلاً: مسخ، نعم تحولت إلى مسخ ليلة قُتلت حبيبتي، لقد اُقتلع قلبي من صدري يوم رأيت رأس ولدي مفصولاً عن جسده، ولدي الذي كان يملأ البيت مرحًا وحياة أصبح جثة هامدة، لا يتحرك، لا ينبض، نعم لم أعد أمتلك أيِ مشاعر تخص البشر، والآن انتهى كل شيء؛ لذا هيا أتمم مهمتك ربما أجِد راحتي بعد موتي، لقد فقدت كل شيء معهما، ولم أعد أكترث بما يحدث، كيف أقبل أن يعيش الجميع؟ وهي جسدها يواريه الثري مع ولدي، كيف أسمح لكم أن تتنفسوا الهواء، وهى لا، كيف تريدني أن أراكم تنعمون بالحياة؟، وقد حُرمت منها أنا وعائلتي، لم يكن مقدرًا أن يحدث هذا لنا، الحياة والمملكة والمُلك كل هذا لا شيء أمام لحظة أسرقها من العمر معهما، لقد كنت على يقين أنها عادت إلىَّ، وأن كل ما مضى كان مجرد كابوس مخيف، لقد كانت أمامي، تحدثني، ما زلت أشعر بحرارة جسدها، لمساتها، والآن اختفت، ذهبت وتركتني مع لغز لا أستطيع الإجابة عليه؛ لذا هيا اقتلني ربما أراها ثانيةً وتظل معي هذه المرة للأبد، قد تكون تلك نقطة البداية التي تعنيها، لقد حاولت أن أفهم ماذا تقصد؟ ولكني

لم أَجِد الإجابة، لا أعلم كيف سأحررها هي وولدي؟، بعودتي لنقطة البداية.

ثم أطلق آهه قوية من صدره كالأسد الجريح الذي ينازع في النفس الأخير ورفع رأسه إلى السماء باكيًا وصرخ: تيـــــرررراااااا، اغفري لي خطيئتي، اغفري لي خذلاني لكِ، لم أقم بحمايتكما كما وعدتك، اغفري ضعفي وقلة حيلتي، لو كان الأمر بيدي، لو كنت أعلم ما سيحدث؟ كنت منعت حدوثه، ليتني كنت معكم، ليتني استطعت اللحاق بكما قبل أن تقوم بفعلتها، اغفري لي حبيبتي.

كان زين يشاهده ويستمع لكلماته وقد رقَّ قلبه لحاله ولكن ليس بيده حيلة؛ فهو يعلم أنه لن يتوقف أبدًا؛ لذا أصدر أوامره بإحضار المِقْصلة والسيف الكباش وإعدادهما لعملية الإعدام، لقد انتقى مازر السيف الكباش الذي بضربة واحدة منه تفصل الرأس عن الجسد في الحال.

وأثناء ذلك شرد زين في كلمات شيشنق وهو ينتظر إشارة البدء، أيعقل أنه بات يهذي إلى هذا الحد، كيف يعتقد أنه رأى زوجته؟، وأنها أيضًا طلبت منه أن يعود إليهما، ماذا تعني؟ أتريد موته!!، أم ماذا؟ كيف تكون قد ماتت وتطلب منه تحريرها؟ كيف هذا؟ هل يعقل أن الروح مازالت عالقة في الأرض؟ هل بالفعل رآها؟، وكيف سينقذها بعودته لنقطة البداية؟.

أسئلة كثيرة تدور في رأسه تجعله يشعر أنه سيفقد صوابه، حتى أن كلمات شيشنق صارت تتردد في ذهنه كأنها نساء صارخات تستنجد به،

وعندما أصبح كل شيء جاهزًا في انتظار إشارته ليقوم الجني المكلف بالأمر بقطع رأس شيشنق، كان يقف هو في حيرة لا يستطيع فك طلاسم تلك الكلمات، ظلت عيناه زائغتين بين الجني الذي ينتظر الأمر ليمتثل له، وبين شيشنق الذي كان مستسلمًا على غير عادته، ينتظر الموت بهدوء شديد، كأنما يرحب به.

لقد حانت اللحظة الأخيرة لا مفر، يجب أن ينتهي من كل هذا ليعود مرة أخرى إلى حياته الطبيعية، ليعود كما كان زين المزارع البسيط، يجب أن يصدر أمره حتى تنتهي تلك اللعنة للأبد... رفع زين يده ليعطي إشارة التنفيذ وعقله مازال حائرًا في تلك الكلمات، كما لو كان يدور في دوائر متعددة لا يجد له مخرج..... ثم فجأة ويده تهبط للتأكيد على إتمام المهمة، اتسعت حدقتا عينيه، وانتفض جسده ولسانه يردد يعود لنقطة البداية، قبل أن يحدث أي شيء ثم تذكر كلمات تيرا التى كتبها على الجدار (ارجع عن انتقامك وستجد الطريق إلينا، فكر جيدًا وستجد الوسيلة، ولكن لا تتركنا نُلعن).

كانت يد زين قد أطلقت إشارة البدء فاستعد الجنى ورفع السيف الكباش إلى أعلى ليهوي به علي عنق شيشنق بقوة ويفصله من ضربة واحدة، وقف يشاهد السيف الذي ارتفع وقد لمعت الإجابة أمام عينيه في نفس اللحظة.

تلك اللحظة التي توقف فيها الزمن ولَم يمر قط، لقد ظلت يد الجنى معلقة بالسيف ولَم تهبط الا بعد أن اختفى زين وشيشنق معًا، ليهوى السيف على مقصلة فارغة ولا يفصل شيء سوى الهواء، ويكتشف الجان

ومعهم مازر اختفاءهما سويًا.

انطلق زين حاملاً شيشنق بعد أن أوقف الزمن بضعة لحظات ليتمكن من صهر قيوده ونقله قبل أن ينال منه الكباش، انطلق معه في رحلة بعيدة تبعد قرابة الثلاثة ألف عام تقريبًا، ليصل به إلى النقطة التي بدأ معها كل شيء، التي حولت حياته وحياة السلالة من بعده إلى جحيم.

انتهت الرحلة من حيث كانت نقطة البداية (القصر الملكي)، كان شيشنق طوال الطريق يحاول التخلص من قبضته، لقد أصبح كالمحموم الذي يحترق من الداخل، كما لو كان يقف على جمر مشتعل، وما إن وقعت عيناه على القصر لم يعد يحتمل، روحه وقلبه يشتعلان من الغضب، وقف يواجه زين ليقاتله على ما فعله، لقد كان يفصله عن سعادته ضربة سيف، فقط لحظة واحدة وكان سينتهي كل شيء؛ لذا حاول أن يصرخ ولكن زين لم يترك له أي مجال وأسرع بكتم أنفاسه ثم أقترب من أذنه وهو يجذبه للخلف ليتواريا عن الأنظار وقال: استمع إليَّ جيدًا، تلك هي نقطة البداية، الآن سيعود كل شيء كما كان، ستعود زوجتك وولدك مرة أخرى لك، فقط استمع إليَّ.

ألجمت الكلمات شيشنق، وقف مشدوهًا فاغرًا فاهه لا يعلم كيف هذا؟ حتى أضاف زين قائلاً: لقد أعماك غضبك عن الإجابة، بالرغم من أنه أمر بسيط، الآن سيأتي قائد من حرسك ليشي بك عند الملكة حور، يجب ألا تسمح له بذلك وسيعود كل شيء إلى طبيعته، الحل هو ألا تعلم زوجتك الملكة بأمر زواجك، وأن توفر الحماية اللازمة لتيرا وولدك.

كان شيشنق يستمع وهو يشعر بالصدمة والغباء الشديد، كيف لم يخطر

له هذا الحل من قبل؟، كيف ترك غضبه يتحكم به؟، ظل يؤنب نفسه بشدة وهو يشعر بالحماقة الشديدة إلى أن شاهد قائد حرسه ونائبه وصديقه الذي يأتمنه على جميع أسراره يتسلل ليصل إلى جناح الملكة حور، أيعقل هذا؟، أمازيغي يخون عشيرته، يخون ملكه وصديقه.

خرج شيشنق من مخبأه وهتف مناديًا: أمنرود.

تسمَّر القائد في مكانه وهو يرتجف من الخوف والدهشة فهو يعلم أن شيشنق الآن في بيت زوجته الأخرى تيرا، فكيف يكون هنا؟، التفت بحذر ليواجهه وهو يحاول أن يتماسك حتى لا يفضح أمره ثم ابتسم في وجه الملك قائلاً: في خدمتك وطاعتك أيها الملك العظيم.

تقدم شيشنق صَوْب صديقه وزين من خلفه حتى أصبح أمامه مباشرة ثم جذبه من ملابسه قائلاً: بيننا حديث طويل ولكن ليس هنا في بيتي الآخر.

قال كلماته ثم اختفى هو وأمنرود ليلحق به زين إلى بيت تيرا.

كان أمنرود يرتعد من الرعب حتى أن قدماه لم تقوَ على حمله وسقط أرضًا وهو لا يصدق ما حدث، كيف أصبح في البيت الآخر في لمح البصر؟

وقف شيشنق أمامه بكل قوة ثم جذبه مرة أخرى لينهض وهو يقول: أنت، أنت يا صديق العمر، تفعل بي هذا!!!، تريد أن تشي بي، لماذا؟.

ـ تلعثم أمنرود وهو يحاول أن ينفى ما يقوله: أاااانا.. عما تتحدث؟...

أأنا... أاااانا لم أفعل شيء.

ـ لاااااا... لا تكذب، لا تكن خائنًا وكاذبًا أيضًا، أني أعلم جيدًا أنك كنت ذاهب لحور لتخبرها عن تيرا وولدي، لا تدعي غير ذلك.

خر أمنرود ساجدًا وهو يتضرع ويتوسل أن يغفر له: أتوسل إليك، اغفر لي تلك الزَّلة، سأصبح خادمك المطيع ما حييت فقط اغفر لي.

وقف ينظر إليه وهو يشعر بمدى حقارته التي لم يكتشفها سوى الآن وبينما هو يتحدث خرج ولده الصغير يهرول من غرفته وهو يصرخ فرحًا: أمي.. أبى هنا، التفت شيشنق بقلبه قبل أن تبصر عيناه صغيره الذى ما زال حيًا، ليهرع إليه ويحتضنه بشوقٍ كبير مقداره ثلاثة ألف عام وهو مازال غير متيقن أن ما يحدث الآن هو الحقيقة وليس الخيال، يرتجف من داخله خوفًا من أن يكون حُلمًا كالمرة السابقة، وبينما هو يعتصر ولده بين أحضانه ويمطره بقبلاته يجد حبيبته أمامه تنظر له بنفس العينين التي لطالما كانت الداء والدواء بالنسبة له، عيونها التي سحرته وبات كالعاشق المجنون في حبها، ليبسط لها ذراعه الآخر فتهرع إليه ويضمهما سويًا في عناق طويل بطول غيبتهما عنه.

وقف زين يتابع ما يحدث وهو يشعر بالسعادة أن الله ألهمه التفكير الصائب، ثم انتبه أن أمنرود يحاول أن يستغل انشغال الملك بأسرته ويتسلل للهروب، فصاح مناديًا: شيشنق.

ـ التفت الملك وشاهد الخائن وهو يحاول الهرب، فطلب من زوجته أن تحمل الصغير وتنتظره بالداخل، وبمجرد دخولهما المخدع، اتجه نحو

ذلك الأَفّاق الذى تجمد من الرعب ولَم يستطع حتى الهروب، اقترب منه وبدون سابق إنذار أو حتى كلمة واحدة غرس الخنجر في قلبه بلا أي تردد، ليسقط صريعًا في الحال وينتهي هذا الكابوس.

صمتٌ وسكونٌ مُطبق عمَّ المكان، حالة من الهدوء والسكينة ولكن لم يدم ذلك طويلاً، في لحظات قصيرة أصاب المكان هِزة عنيفة جعلت الجدران تتراقص كأنها راقصة ثملة لا تستطيع الصمود، أصوات وأضواء قوية صادرة من السماء كأصوات الرعد والبرق ولكن أقوى الآلاف المرات، ثم فجأة يجد شيشنق وزين نفسيهما مرة أخري بداخل المقبرة، والكاهن الأكبر يقف ومعه عدة كهنة والأرواح تحيط بهم.

وقف الأثنان في ذهول لا يعلمون ماذا حدث؟ وهنا تحدث الكاهن قائلاً: لقد دمرتم الأرض، ستحل علينا القيامة بسبب فعلتكما!!

الفصل الثاني والعشرون

«نهاية الأرض جاءت من صنع أيديكما، والواقعة أصبحت وشيكة».

صَمَتَ الكاهن، ولكن الغضب الذي في وجهه لا يحتاج كلمات لتعبر عنه.

لم يستطيع زين وشيشنق أن يتفوها بحرفٍ واحد، حتى يستطيعا تبرير فعلتهما، بل كان الصمت هو جوابهما الوحيد، أردفَ الكاهن بصوت يشبه صوت الرعد الذي يعصف بالخارج: لقد اختل اتزان الأرض، وتسببتم في حدوث كارثة لن تحل على سلالتنا فقط بل على كل الأجناس والعوالم، لقد أخطأتما أخطاء فادحة، ثم أشار بسبابته نحو زين وقال: أنت.

ارتبك زين بشدة وشعر بالرجفة وهو يشير نحوه ويقول: لقد أخطأت عندما أقحمت نفسك فيما لا يعنيك، لم يكن مقدر لك أن تغير أي شيء مما حدث، لم يفترض أن تحرق جسد تيرا وولدها، لقد تسببت في اختلال كبير، بسبب تصرفك هذا، اختلفت كل أفعال شيشنق واختلف معها الكثير في حياة الآخرين، أما أنت، ونظر صَوْب شيشنق قائلاً: لقد فعلت كل ما هو محرم، لقد قمت بما لا يستطيع الشيطان نفسه أن يفعله، قتلت زوجتك الملكة بأبشع الطرق ولَم تكتفِ بهذا بل لعنت روحها، وانطلقت في الأرض تعيث فسادًا وظلمًا، لم تكترث بأحد سوى نفسك وانتقامك الزائف، بل زدت عليه أنك جئت بمخلوقة بريئة ليس

لها دخل بما حدث، ودمرت عالمها كله، كل هذا ولَم تكتفيا، بل عدتما للوراء وغيرتما ما قدر حدوثه، والآن بعد فعلتكما تلك، هل تدركا مقدار الضرر الذي وقع؟، لقد قمتما بكارثة ستغير من حياة الجميع، بل بسبب هذا هناك أناس لن تولد، أرواح لن تأتي لهذا العالم، حيوات عديدة تغير مصيرها من جراء فعلتكما، بل والاسوأ أن الكون كله قد تضرر، لقد دمر كل شيء، فقط من أجل إنقاذ روحين، سنموت جميعًا، ستنتهي الحياة كما نعرفها، كل شيء سيزول، لقد بدأت سلسلة العواصف والرعد والبرق وتلك هي البداية ستستمر اثنى عشر يومًا حتى تبيد الأرض ومن عليها، ثم تأتي بعدها الحمم البركانية لتأتي على من تبقى، سيهلك الجميع من أجلكما.

تبادل الاثنان النظرات وفِي عين كلاً منهما إحساس كبير بالذنب الذي اقترفاه، فهما لم يدركا أن كل هذا سيحدث نتيجة تصرفهما.

شرد ذهن زين في كلمات الكاهن وشعر بالقلق على والدته وزينة، هل بالفعل ما قام به قد يغير شيئًا من المستقبل؟، هل عندما يعود سيجد حياته كما هي؟، أم ستكون مختلفة، هل سيجد له وجود من الأساس؟، أم لا، ألغاز كثيرة من الصعب أن يجد لها إجابات، وتصورات عديدة في رأسه مجرد التفكير فيها يصيب جسده بالرجفة والرعب الشديدان، ظل هكذا شاردًا حتى قطع شيشنق حاجز الصمت وقال بصوتٍ حزين: ماذا علينا أن نفعل؟.

نظر له الكاهن وأجابه: الكثير، يجب فعل الكثير قد نستطيع بعدها أن

نعيد التوزان للكون.

فقال بانصياع شديد: سمعًا وطاعة.

تقدم الكاهن نحوهما ثم توقف أمام زين وقال: وماذا عنك؟.

نكس زين رأسه وعيناه تفيض حزنًا ثم قال: سمعًا وطاعة، سأفعل كل ما يجب عليَّ فعله لتعود الأمور لطبيعتها.

تأملهما الكاهن ثم ابتعد عنهما ليتوقف أمام باب المطهر (وهي بوابة ضخمة بها العديد من النقوش والطلاسم والتماثيل المنحوتة على هيئة ملائكة وشياطين، والغرض منها أنها تطهر المذنب من جميع الذنوب أو تسلبه قواه التي يملكها).

وقف الكاهن أمام البوابة ثم التفت إليهما وقال: هل أنتما على أتم الاستعداد للتضحية من أجل الحفاظ على هذا الكون؟ وعندما جاء ردهما بالموافقة أضاف قائلاً: في البداية يجب عليكما أن تتنازلا عن القوى التي حصلتما عليها، وهذا يجب أن يتم الآن، ثم يجب أن نعيد كل شيء كما كان.

حدَّق شيشنق بوالده في ذهول ثم قال: ماذا تقول يا أبي؟، ماذا تقصد؟، هل تعني أن تعود تيرا وولدي إلى الموت مرة أخرى؟.

شعر الكاهن بالحيرة، لقد تعقدت الأمور كثيرًا ولَم يعد يعلم ما الصواب؟، ثم أجاب ولده: شيشنق يا بني، لقد فعلتما الكثير، في البداية زين قام بتغيير الماضي عندما أحرق جسد تيرا وولدك، ولكن بإعادتهما فقد محا ما فعله وأيضًا قتلك للملكة حور والخراب الذي حل علينا من جرَّاء هذا

قد زال، ولكن حياة تيرا وولدك وحياة الملكة حور ستغير الكثير من المستقبل، كل شيء سيتبدل، نحن الآن أمام خيارين، ويجب أن يختار أحداكما خيارًا منهما، لأنه هو الذي سيضحي من أجل بقائنا جميعًا.

صمت مهيب عمَّ المكان، الجميع في انتظار معرفة الخيارات المتاحة، ومن سيكون عليه أن يضحي؟.

أطلق الكاهن تنهيدة قوية تفصح عمّا يجيش في صدره ثم قال: أما أن تعودا إلى ما كنّا جميعًا عليه وهو قتل تيرا وولدها على يد حور بدون أي تدخل فيما حدث أو سيحدث، أو نترك الأمور كما هي الآن ولكن، عندما يعود زين إلى عالمه لن يجد زينة في انتظاره، يجب أن تعود إلى عالمها فهي لا تنتمي لهذا الزمن، انتقال زينة من زمنها إلى آخر سيتسبب في الكثير من الفوضى في عالمها وعالمك أيضًا والكون لن يحتمل كل تلك الفوضى التي ستحدث بسبب تيرا وولدها وحور من ناحية، ومن الناحية الأخرى زينة وانتقالها للعيش في زمن مختلف لا تنتمي إليه، يجب أن يتنازل أحداكما عن حياته من أجل الأخر ومن أجل العالم بأجمع، يجب أن نعيد التوازن حتى تعود الحياة كما كانت.

صرخ شيشنق بجنون وقال: أتريدني أن أشاهد زوجتي وولدي يقتلان مرة أخرى؟، أن أعيش بدونهما، هذا درب من الجنون، لن أسمح بهذا، ولو فعلت فلتقتلني معهما، هذا هو الحل الوحيد.

أما زين فكان في حيرة شديدة، لا يستطيع أن يقبل بقتل تيرا وولدها من أجل حياته مع زينة، وأيضًا لا يستطيع تفسير هذا، كيف يكون

وجود زينة معه سبب في اختلال الكون؟، لقد سمع تلك الكلمات مرارًا (زين لزينة، وزينة لزين، نصيب مكتوب على الجبين)، إذن كيف يكون تواجدهما معاً غير مقدر؟، وأخيرًا تحدث: كيف تكون زينة ليست قدري؟، وماذا عن النبوءة التي أسمعها منذ الصغر؟، لقد عشت طوال حياتي أستمع لكلمات والدتي أن هذا قدري وأنه لا مفر من القدر، لقد كانت غالية تردد تلك الكلمات لي منذ الصغر أن زينة قدر قد سطر فوق الجبين من قبل حتى ولادتي، أنا الآن في حيرة من أمري ولست أدري ما الصواب؟.

جلس الكاهن على مقعد كبير والكهنة خلفه ثم قال: تلك النبوءة خاطئة، من رآها أو اكتشفها لم يكن على صواب، لقد اختلط عليه الأمر أو أخطأ في أمرٍ ما، لأنه يجب من أجل أن تتحقق تلك النبوءة أن تكونا معًا في نفس الزمن، لا يجب أن تتلاقيا من عالمين مختلفين، زينة ليست قدرك، ولَم تكن يومًا.

صمت زين بُرْهة من الوقت تتقاذفه العديد من الأفكار في ذهنه ثم نظر إلى شيشنق ورأى علامات الحزن والرجاء في وجهه، لم يكن من اليسير عليه أن يتخذ القرار ولكنه لا يملك الاختيار يجب أن تكون التضحية من نصيبه هو، لا يستطيع أن يفرق بين زوجين وولدهما من أجل حبيبة ليست مقدرة له؛ لذا لا مفر من أن يفعل الصواب، تقدم نحو الكاهن وقال: يجب أن تبقي تيرا وولدها مع شيشنق، هو الأحق بهذا، لقد قبلت أن تكون التضحية من نصيبي، طالما زينة لم تكن يومًا لي، ولكن أرجو ألا يصيبها أي أذى أو حزن.

فأجابه الكاهن: لا تقلق، هي لا تعلم بوجودك من الأساس، ما فعلته مع شيشنق غير مجرى الأحداث كلها، هي الآن عادت إلى بيتها وزمنها الطبيعي، لا تتذكر شيء، وكل ما حدث من قبل، زال تمامًا، أنتما في الأساس لم تمرا بحياتها من قبل.

حدَّق زين بالكاهن وهو لا يصدق أنها لن تتذكر أي شيء مما سبق، فأضاف الكاهن قائلاً: حتى عائلتك لن تتذكر شيئًا، لأنه لم يعد هناك لعنة، ولا كتاب، ولا أي شيء، فقط حياة طبيعية للجميع، كل ما ترتب على اللعنة اختفى تمامًا.

ابتسم زين بآسى وقال: إذن لننته من هذا الأمر، هيَّا.

أشار الكاهن لهما بالوقوف أمام بوابة المطهر وبدأ يقرأ الرموز والطلاسم المنقوشة على الباب الحديدي الضخم، وما هي سوى لحظات وبدأت تلك الرموز تشتعل كما لو كانت النيران أُضرمت فيها، والمطهرون من الملائكة والشياطين التي تم نحتهم على البوابة، يتحركون جميعًا ويبسطون أيديهم إلى الأمام صوبهما، ثم بدأ يشعر كلاً منهما بآلام شديدة كأن الروح تسحب من الجسد، وبالفعل كانت كذلك وقف جميع الكهنة يشاهدوا خروج الاثنى عشر روحًا الكامنة في كل جسد، كانت الروح تخرج تلو الأخرى كأنها ظل من الدخان تتلقفها أيدي المطهرون لتعيدها إلى صاحبها من أجل يوم البعث.

لم يكن التخلص من تلك القوى سهل بل كان مؤلم إلي حد الموت، وبعد الانتهاء عادت النقوش إلى طبيعتها وخفت ضوؤها حتى انطفأ تمامًا،

والمطهرون أيضًا عادوا كما كانوا مجرد تماثيل، أما شيشنق وزين فقد كانا منهكي القوى كما لو كانا في خضم حرب عنيفة وانتهت في الحال.

نهض الكاهن من مجلسه وقال: أحسنتما صنعًا، يجب عليكما الآن أن تعاهداني على ألا تحاولا انتهاك تلك العهود أو يحاول أيًّا منكما أن يقوم بعمل شيء قد يتسبب في أذى كبير، أي محاولة واحدة لتغيير القدر أو العبث به سنهلك جميعًا، ثم نظر لزين وقال موجهًا حديثه إليه: يجب عليك ألا تحاول أن تبحث عن زينة، أو تراها، يجب أن تعاهدني على ذلك.

أجابه زين بضعفٍ شديد: أعاهدك.

ثم نظر إلى الملك وقال: وأنت يجب أن تأخذ حرصك بأن لا تعلم حور شيئًا عن زوجتك الأخرى، يجب أن ترسل تيرا وولدها إلى خارج البلاد، كن أشد حرصًا، وإياك أن تفكر بأن تقوم بفعل أي شيء آخر، فأجابه شيشنق وقال: أعاهدك.

فأضاف الكاهن: الآن وقت عودة زين.

تقدم شيشنق نحو زين، ووقف أمامه يتأمله جيدًا ثم عانقه بقوة وهو يقول له: لقد تسببت لك في الكثير من الأذى ولكنك دائمًا كنت تحاول أن تلتمس لي العذر وتمنحني الفرص، لقد أعطيتني أعظم هبة في الحياة، زوجتي وولدي وبصيرتي، لا أملك سوى كلمات بسيطة لك، اغفر لي ما فعلت، اصفح عني، لقد قدمت تضحية كبيرة من أجل أسرتي، لذا كن على يقين أني سأكون معك دائمًا ولن أتركك أبدًا.

بادله زين العناق بنفس القوة وأغمض عينيه حتى لا يرى أحد الدمعة التي تحاول الهروب من عينيه وقال: لا عليك، وكن على يقين أيضا عندما أقول لك أني سعيد بأن زوجتك وولدك عادا إليك، هذا أهم بكثير، ويكفي أن الجميع سيحيا في سعادة، يكفيني هذا.

دامت تلك اللحظات عدة ثوان ثم فتح زين عينيه، فوجد نفسه في غرفته يحتضن والدته وهي تقول له: ما بك يا ولدي؟، أين كنت؟.

الفصل الأخير

مضت عدة شهور على زين يحاول فيها التأقلم على حياته الجديدة والتغيرات الكثيرة التي حدثت فيها وشهدها منذ عودته.

لقد تفاجأ حينما عاد ووجد عائلة أخرى في انتظاره، مختلفة لا تشبه تلك التي تركها منذ بضع ساعات، لقد اختفت اللعنة من حياة الجميع كأنها لم تكن قط، واختفى معها العديد من الأحداث والأشخاص والأماكن، ليظهر بدلاً عنها أحداث مختلفة وأناس جديدة وأماكن أخرى لم يكن لها وجود من قبل، لقد تبدَّل التاريخ على مر القرون، وتبدلت معه حياته كلها،وأهم ما حدث أن السلالة عادت لسابق عهدها تمتلك نفس القوى وتتوارثها مع كل جيل ولم يعد الأمر يقتصر على شخص واحد كل مائة عام كما كان يحدث بسبب اللعنة.

كان اختفاؤها نعمة على الجميع إلا هو، إن العالم الذى يعرفه جيدًا لم يعد له وجود،زينة التي عاش كل عمره منذ الصغر يستمع لكلمات والدته عنها حتى التقاها وباتت حقيقة في حياته الآن لم يعد لها وجود، حتى والدته التي أقحمته في كل هذا الصراع وجعلته يحمل على عاتقه مسئولية أجيال كثيرة، ليس لديها أدنى معرفة بكل هذا كما لو كان هذا من نسج خياله فقط، لا أحد يعلم عنه شيئًا، بل والمفاجأة الكبرى التي فاقت كل التصورات أنه أصبح لديه شقيق وشقيقة بعد أن قضى

حياته كلها وحيدًا، لقد جاءا من العدم وكأنهما كانا هكذا طوال حياته فقط هو الوحيد الذى لا يتذكرهما، والآن أصبح الشقيق الأكبر لهما، لقد انتهت اللعنة وانتهت معها حياته كما عهدها، وهو الآن يشعر بالغربة داخل بيته، يتجول بين حجراته كالزائر الضيف، يبحث عن أماكن أشيائه الخاصة ولا يجدها حتى غرفته لا يشعر بالألفة بها، له شقيق وشقيقة لا يعرفهما، ظل يتعثر لبعض الوقت حتى يستطيع تذكر فقط أسماءهما، أما والدته التي لطالما كانت الأقرب إليه، فقد كانت دومًا الأم والصديقة ولكن ها هي الآن تختلف تمامًا عما مضى، لم يعد يشعر أنه يعرفها جيدًا، لم تعد تلك المرأة التي عهدها دومًا.

أصبحت حياته شبه مستحيلة، يجب عليه أن يتظاهر طوال الوقت بأن تلك الحياة هي حياته التي اعتادها، وأنه كان معهم طوال العمر، يتظاهر بأنه يعرف كل ذكرى مرت مع عائلته، حاول التظاهر كثيرًا ولكن لم يكن ذلك بالأمر الهين، مواقف عديدة مر بها لم ينجح أن يراوغ فيها، حتى أصبحت تصرفاته تزداد غرابة كل يوم بالنسبة لمن في المنزل وباتوا يلقبونه (غريب الأطوار)، لم يجد أمامه سوى الوحدة والعزلة عن الجميع، كانت غرفته هي ملاذه الوحيد فأصبح ينفرد بنفسه بها طوال الوقت، يحاول دائمًا الهروب من مواجهتهم، إلى أن جاء اليوم الذى اقتحمت والدته فيه الغرفة وأصرت على معرفة ما أصابه وألحت بشدة، لم يجد زين حلا سوى مصارحتها بكل شيء، منذ البداية وحتى لحظة رجوعه إلى البيت.

استمعت غالية لولدها وقد شلت الصدمة تفكيرها، وعجزت حتى عن

النطق، دهشتها قد فاقت كل تصور لديها، وبالرغم من ذلك لم تشك لحظة واحدة في صدق كلامه أو ظنت ولو لوهلة أن ولدها أصابه مكروه وفقد عقله، بل كانت موقنة أنه صادق في كل ما قاله، فهي تعلم زين جيدًا وتعلم ما بداخل قلبه، والآن بعد أن استمعت إلى روايته تملكها الحزن الشديد عليه، وأحست بأنها المذنبة في كل ما حل به، لقد أثقلت كاهله بما لا يطيقه البشر، جعلته يحمل على عاتقه مسئولية لعنه عجز الآلاف عن حملها قرونًا عديدة، والآن هو الوحيد الذي يعاني من جراءها، ولكن فات أوان الحديث يجب عليها الآن أن تكفر عن هذا الذنب الذى اقترفته في حقه، ليس هذا بالأمر الهين ولكن يجب عليها المحاولة، وأول ما يتحتم عليها فعله هو أن تعيد له ما فاته من الحياة؛ ولذا بدأت تقضي معه أوقات كثيرة من اليوم لتروي له فيها كل ما لا يتذكره.

استمر هكذا شهور طوال حتى بدأ يندمج مع الجميع، ولكن هناك دائمًا غُصة في القلب، لا يعلم حقًا ما هو سببها أهو اشتياقه لزينة؟ أم حنينه لماضي تعايش معه طوال حياته؟.

وفي إحدى الأمسيات وبعد الانتهاء من العمل في المزرعة، عاد زين مع أخاه الأصغر (فخر) إلى البيت، وبعدما تناول العشاء توجه لغرفته حتى يستريح قليلاً من عناء يوم طويل، خلع عنه ملابسه وارتدى المنامة، وبعد أن اتجه للفراش لا يدري لما عاد واقترب من المرآة ووقف يُحدِّق بها، أهو الحنين؟ أم ماذا؟، نعم إنه الحنين لبقايا حياة لم يعد لها وجود سوى في مخيلته، وقف يتذكر زينة، وكيف كان يتواصل معها من خلالها؟، وقف يُحدِّق بها وهو يستعيد ذكرياته معها ويتساءل كيف هو

حالها؟ وماذا تفعل الآن؟.

ظل يتأمل المرآة وهو شارد الذهن، وفجأة خُيل إليه أن هناك شيئًا يتحرك بها، اقترب أكثر وهو يتفحصها جيدًا، وبينما هو هكذا سمع صوت يصدر منها، حاول الانصات جيدًا فعاد الصوت أقوي: زين... زين.

انتفض جسده بشدة ووقف يحدق فاغرًا فاهه بذهول إلي المرآة، والتي أصبح انعكاسها أمامه صورة شيشنق، لم تصدق عيناه ما تراه، وعجز لسانه عن النطق ثم أخيرًا استطاع أن ينطق قائلاً: أنت... أحقيقة أنت أم خيال!... أنت هنا أمامي.

ضحك شيشنق وقال: نعم، ألم أقل لك أني سأكون بجوارك دائمًا، هل اعتقدت أنك تخلصت مني؟، لقد وددت أن أراك، وأيضًا هناك شخص آخر أراد هذا.

شعر زين بالغرابة وقال: شخص آخر، من هو؟.

وهنا ظهرت تيرا بجوار شيشنق وهي تحمل صغيرها (أوبوت) وابتسمت لزين قائلة: أنا، لقد أردت أن أقدم إليك عرفاني وتقديري على كل ما فعلته من أجلنا، لقد منحتنا السعادة، كل كلمات الشكر لا توفيك حقك.

ثم وجد تيرا تنحني وتحدث صغيرها في أذنه، لينظر إلى زين وهو يبتسم بشدة ويمد يده نحوه وهو يقول: زين، زين، أنا أحبك .

ابتسم زين للصغير وتحدث معه ومع تيرا، وهو يغمره إحساس جميل، سعادتهم الظاهرة له ملأت قلبه بالأمل والتفاؤل، شعر معهم بأنه استعاد جزءًا مما فقد، ثم اختفت تيرا مع الصبى وظل شيشنق الذي بادره

بالكلام قائلاً: غدًا سأرسل إليك تسوسلت (هدية بالأمازيغي) ستحبها كثيرًا.

تعجب زين لكلماته وقال: كيف سترسلها لي؟ وما هي؟.

فأجابه شيشنق وصورته تتلاشى من المرآة: انتظر وسترى، فقط كن على الموعد.

وقف في حيرة وهو يحدث نفسه: موعد!! أي موعد هذا؟ وعما يتحدث؟ تساؤلات عديدة دارت بذهنه ودهشة من ظهور شيشنق المفاجئ ولكن لا فائدة من إجهاد عقله، فإن غدًا لناظره قريب، ثم خلد للنوم وهو على موعد مع الغد.

وفِي الصباح الباكر استيقظ كعادته ولكن كان متقد بالحماس والنشاط اللذان حاول أخفائهما حتى عن نفسه، لم يكن يريد أن يتعلق بشيء لا زال في علم الغيب، لذا تناول فطوره وذهب إلى المزرعة، وهو يحاول أن يثقل نفسه بالعمل طوال النهار ولكن هَيْهات عقله كان مشتتًا يفكر فيما حدث بالأمس ولكنه لم يجد إجابات ولَم يصله أي هدايا، حاول أن ينهمك أكثر وأكثر لعله يجد سلواه في العمل حتى ينفض عن رأسه الأفكار التي تلاحقه، ثم جاء وقت راحة الغذاء، فذهب إلى شجرته المفضلة التي يجلس كل يوم تحت فروعها الكبيرة، وانتظر أن ترسل له والدته الطعام مع أي عامل من عمال المزرعة، ولكن أثناء انتظاره ومن شدة إرهاقه غلبه النعاس، فمال بجذعه وأسند رأسه على الشجرة واستسلم للنوم.

لا يعلم كم مر عليه من الوقت وهو نائم؟ ولكن صوت شقيقته جانا وهي تحاول أن توقظه جعله يفتح عينيه بكسل شديد وتراءى له وهو يحاول أن يستفيق أنها ليست بمفردها وأن معها فتاة تبدو مثل....

انتبه زين سريعًا واعتدل في جلسته ووضع بعضًا من مياه القارورة التي بجواره على وجهه حتى يزيل أثار النوم ويستطيع التركيز ثم نظر إلى شقيقته وهي تقول: أخي الحبيب، اغفر لي لقد تأخرت عليك قليلاً، ولكني قابلت صديقتي في الطريق ودعوتها أن ترافقني لنحضر إليك الطعام.

بدأ زين يستعيد نشاطه وتركيزه فأجابها: لا عليكِ، المهم أنكِ وصلتِ.

كانت صديقة جانا تقف خلفها، فلم يستطيع رؤيتها جيدًا، حاول أن يتظاهر بعدم الاكتراث وألا يحاول التحديق بها ولكن الفضول لرؤيتها كان ينهشه من الداخل، إحساسه الداخلي كان يخبره أنها زينة، ظل هكذا يحاول إظهار القوة والتماسك حتى انتبهت شقيقته أنها لم تقم بتقديم صديقتها له فقالت وهي تضرب كفها على جبهتها: يالغبائي، لقد نسيت أن أعرفك بها، ثم التفتت نحوها وقالت: هذا هو شقيقي الأكبر زين.

كانت الفتاة تقف وهي موليه لهما ظهرها وعندما سمعت كلمات صديقتها، أدارت جسدها لتلقي التحية عليه.

رفع زين وجهه ليراها، وعندما تلاقت الأعين شعر بهِزة عنيفة تجتاح جسده لا يدري هل كانت هِزة أرضية؟، أم أن جسده خانه التعبير من

تأثير رؤيتها، ولكن لا يهم فقط يكفي أن تتعلق عيناه بوجهها ويبحر فيه ، لا يعلم كم استمر هكذا؟، حتى انتبه لصوت شقيقته وهو تصدر همهمة كما لو كانت تطلق إنذارًا بأنه قد رحل مع عينيها ولَم يعد ثم قالت: هذه تيرا يا زين، صديقتي المقربة.

نهض زين من جلسته سريعًا وتقدم نحوها وهو يمد يده بلهفة لملاقاة يدها ويقول: أهلاً تيرا، كيف حالك؟.

رفعت بصرها نحوه بخجل شديد ومدت يدها على استحياء وأجابته بصوت يشبه الملائكة: أنا بخير ..سعيدة برؤيتك.

وما إن تعانقت الأيدي وتلاقت الأعين حتى سرت موجات بينهما جعلت جسديهما يرتجف وينتابهما رعشة جميلة استطاع الاثنان أن يلاحظها، شعرت تيرا بالخجل الشديد وجذبت يدها سريعًا وأخفضت عيناها حتى لا تواجهه.

أما زين فقد سافر مع حسنها الذي لا يضاهيه أي مخلوق على وجه الأرض، وملأ فؤاده من سحر عيونها التي تبدو كلون البحر الهائج، وتغزل بجدائل شعرها الذهبي، وارتعشت شفتاه لرؤية شفاهها الوردية الناعمة، أما يده فحاول أن يسيطر عليها لقد كانت في شوق للمسة من بشرتها الشقراء التي تأثرت من لفحة الشمس لها فزادتها جمالاً وحسنًا، كل ما فيها يصرخ بالجمال الأخاذ الذي يسحر القلوب قبل العقول، أيعقل أن تكون تيرا هدية شيشنق!!، أيعقل هذا!!، حتى لو لم تكن يكفيه أن قلبه تحدث عنها، لقد سمع صوت قلبه لأول مرة ينطق بحروف اسم

لم يسمعه من قبل، ولم يلقنه أحد إياه، أو يفرضه عليه، لقد اختاره بمفرده، فقط مشاعره هي من فرضت سيطرتها عليه وأصدر قلبه الأمر وصدر القرار بالحب.

مضت سبعة أعوام على هذا اليوم وها نحن الآن فِي نفس المكان وتحت نفس الشجرة الكبيرة جلس زين مع زوجته تيرا يتناولان طعام الغذاء وولديهما أنس ومالك يلعبان أمامهما، شردت تيرا قليلاً وشخصت ببصرها إلى اللاشيء، وعندما انتبه زين لها رفع يده ولامس وجهها الذي يعشقه بحنو بالغ وقال: ما بال حبيبتي؟، ما الذي يشغلك عني؟.

ابتسمت لزوجها وقالت: لقد شُغلت عنك بك، فقط كنت أتذكر لقاءنا الأول كيف كان؟، أتعلم حبيبي أني أحببتك منذ النظرة الأولى، لقد اشتعلت بداخلي مشاعر لم أكن قد عهدتها من قبل، اجتاحتني للمرة الأولى، كنت أشعر بالخوف أن يفضح أمري ويظهر هذا على وجهي، قلبي كان يدق بعنف شديد حتى أني أحسست أن الجميع يستمع إليه معي، جسدي كان يرتجف، وعيناي كانتا ترفضان أن تبتعدا عنك.

صمتت قليلاً تتذكر هذا اليوم من بدايته ثم أضافت: لقد تذكرت الآن ما حدث لي في صبيحة هذا اليوم، لقد كنت سأمكث في المنزل لم يكن عليّ الخروج يومها،ولكن منذ الساعات الأولى للصباح وأنا أستمع إلى صوت بداخلي يردد دائمًا اسم جانا صديقتي، حاولت أن لا أنتبه ولكن كان ذلك شبه مستحيل، لم يتركني إلا بعدما غادرت المنزل متجهة صوْب بيتها لأطمئن عليها.

ابتسم زين عند سماعه هذا الاعتراف وشعر بالامتنان بداخله، ثم اقترب منها والتصق جسده بجسدها واحتضنها وهو يقول:

-أما أنا فأحببتك من قبل أن أرى وجهك، وعندما رأيتك وقعت في عينيكِ أسيرًا ولَم أرغب في الفرار أبدًا، أنتِ أجمل هدية في حياتي.

مضت الحياة بحلوها ومرها، عاش فيها زين أجمل سنوات عمره مع والدته وزوجته وولديه، ظل يعمل بالمزرعة وولداه يقدمان له المساعدة بعد الانتهاء من يومهما الدراسي، أما شقيقته جانا فتزوجت وسافرت مع زوجها إلى بلاد النوبة، وشقيقه فخر استقر بالقاهرة ليكمل دراسته ثم تزوج وعمل بأحد المصانع هناك.

حياة جميلة لا يشوبها أي شيء، ولكن دوام الحال من المحال، مضت الأعوام سريعًا، كبر فيها الأبناء، وكبر معهم عدد سنوات العمر حتى جاء اليوم الذي كانت فيه الطامة الكبرى، ماتت غالية، ماتت من كانت السماء تحنو عليهم بدعائها، ماتت من كانت تفيض على الجميع حبًا وحنانًا، ماتت الأم والحبيبة الأولى والصديقة، ماتت ومات معها كل شيء جميل.

تلقى زين الخبر بإنكار شديد لم يرضخ ويقتنع أنها فارقت الحياة، ظل جالسًا بجوارها طوال اليوم ينتظر أن تفتح عيونها، حاول الجميع إقناعه ولكنه لم يستمع حتى أصابه الإعياء وفقد وعيه، فاضطروا لدفنها سريعًا ولم يحضر هو الوداع الأخير، ومع ذلك لم يستطع عقله تقبل تلك الحقيقة، ظل كل يوم يستيقظ من نومه ويهرع إلى غرفتها ليلقي عليها

تحية الصباح، وعندما يدخل يجدها خاوية من صاحبتها، ليتذكر أنها لم تعد تسكنها وأنها أصبحت من ساكني القبور، مرت أعوام لم ينسى أو يتأقلم، كان دائمًا يردد (نحن على موعد، وسنلتقي قريبًا).

تكررت زيارات شيشنق عدة مرات على مدار السنين كان يروي فيها لزين عن إنجازاته في الحكم والتوسعات التى يقوم بها، استمر هكذا حتى توقفت تمامًا بعد أن كبر الأبناء وتزوج الابن الأكبر، علم زين حينها أن شيشنق قد رحل عن الحياة أيضًا، ثم بعد عدة أشهر من زواج ولده أصبح لديه حفيد جميل، والذي كان له فعل السحر في حياته، لقد تبدلت تمامًا من الحزن إلى السعادة والفرحة، استطاع هذا الطفل الصغير أن يعيد إلى جسده الرغبة في الحياة مرة أخرى.

مضت الأعوام وازداد تعلق الجد بحفيده فأصبح لا يفارقه، ويصطحبه معه في كل مكان، حتى أثناء النوم يجب أن يكون بجواره في الفراش، كانت تيرا تشعر بالغيرة من حفيدها، لقد احتل قلب جده تمامًا ولَم يترك لأحد أي مجال.

وفي صبيحة يوم اعتبره زين يومًا أسود في حياته، فاجأه ابنه أنس بأنه يريد السفر مع زوجته وولده إلي القاهرة لزيارة عمه فخر وقضاء بعض الأمور، وقد يستقر هناك إذا راق له الحال.

نزل الخبر على زين كالصاعقة، واتُهم ولده أنه يريد أن يشطر قلبه نصفين، لم يستطع أن يحتمل فكرة ابتعاد حفيده عنه؛ لذا كانت ردة فعله هي الغضب والنفور الشديد، ورفض رفضًا قاطعًا أن يسمح لهم

بالمغادرة، وتلك كانت المرة الأولى التي يحدث فيها صدام بينه وبين ولده، شعر أنس بتحكم والده الشديد، وأنه يفرض سيطرته عليهم طوال الوقت، واحتدم النقاش كثيرًا بينهما حتى تدخلت تيرا وزوجة أنس لحل الخلاف، واقترحت زوجة الابن أن يتركا طفلهما مع جده لحين اكتشاف الوضع جيدًا ثم عودتهما مرة أخرى.

حينها فقط اطمأن قلب زين لهذا الاقتراح، نعم مازال غير مطمئن، شعور غريب بعدم الراحة من تلك الرحلة يجتاحه ويتمنى لو لم يغادر أحد منهم، ولكن لا يستطيع أن يضغط على ولده أكثر من هذا.

غادر الابن وزوجته في رحلة لم يكن أحد يعلم أنها ستكون الأخيرة في حياتهما، وأن عودتهما ستكون في عربة الموتى جثتين محمولتين على الأعناق، لقد انتزعتهما حادثة مفجعة وفطرت قلب الأب والأم والابن عليهما، وعاد زين يمر بنفس التجربة مرة أخرى، كانت أصعب لحظات حياته وهو يواري جسد ولده وزوجته التراب، ولكن تلك المرة يجب عليه التماسك لقد ترك له أنس أغلى شيء في حياته، حفيده الغالي الذي يجب عليه أن يقوم برعايته والاهتمام به حتى لا يشعر بغياب والديه.

لذا كرَّس حياته من أجل حفيده، ظل يرعاه ويهتم بكل شئونه، كان له نعم الأب والصديق، وعندما كبر الصبى وصار شابًا أصر على أن يذهب للقاهرة لاستكمال دراسته، لم يستطع وقتها حتى الاعتراض بل حزم حقائبه هو وزوجته ورحل معه، ليقضي مع حفيده سنوات دراسته

الجامعية، ويتابع تفوقه بفخرٍ شديد، كان ينتظر أن ينتهي من الدراسة بفارغ الصبر حتى يعودوا جميعًا إلى المزرعة والبيت الذي ترك شئون إدارتهما لولده مالك، مرت السنوات حتى أصبح الشاب في العام الأخير له في الدراسة، وذات يوم وجد زين حفيده يجلس مهموم ويبدو عليه الحزن، اقترب منه وجلس بجواره وقال: ما بك يا بنى؟، ما الذي يحزنك؟.

صمت الحفيد قليلاً ثم قال بتردد: جدي أريد أن أخبرك بأمرٍ هام وأتمنى أن لا تغضب مني.

ابتسم زين وضم حفيده قائلاً: لا يوجد على وجه الأرض ما يجعلني أغضب منك، تكلم ولا تقلق.

ارتبك الشاب كثيرًا ولكن حنان جده كان كافيًا ليبدأ الحديث بدون أي ترتيب قائلاً: إني معجب بزميلتي في الجامعة، وأريد خطبتها.

حدَّق زين في حفيده ثم انفجر ضاحكًا وقال: هل هذا هو الموضوع؟، إذن لقد كبرت وتعلمت الحب وتريد الزواج، هل أنت على يقين من مشاعرك تجاهها؟.

فأجاب الشاب بإيماءة من رأسه، فأضاف زين: وماذا عنها؟.

وهنا تحدث الحفيد باندفاع ولهفة: نعم بالتأكيد، إننا على وفاق، كلٌّ منا يحب الآخر كثيرًا.

تأمل زين وجه حفيده الذي كان مازال يراه طفلاً صغيرًا بالأمس ولا يعلم متى غافله العمر وكبر الصبى؟، ثم قال: إذن فلنذهب لخطبتها، قفز

الحفيد يعانق جده وهو يشعر بسعادة بالغة واتقفا سويًا على تحديد موعد مع أسرتها.

وجاء اليوم الموعود، وحان وقت الذهاب إلى بيت العروس، استعد الجميع وكانوا في الموعد المحدد أمام باب المنزل، استقبلهم الأهل وجلسوا جميعًا معًا يتبادلون الأحاديث ويتعارفون، كانت سعادة الأسرتين بالغة بالتوافق الذي سار بينهما.

أما زين فكان يختلس النظر إلى وجه حفيده الذي يشع بالسعادة ويتمني أن يراه دائمًا هكذا، مرت لحظات وحانت لحظة دخول العروس، جلست تيرا مع زوجها عيونهما معلقة على الباب في انتظار دخول الفتاة التي استطاعت أن تسرق قلب حفيدهما.

وبالفعل دخلت تحمل في يدها صينية وهي تنظر أرضًا بخجل شديد، تقدمت نحو تيرا وقدمت لها المشروب، فأثنت تيرا على جمالها وأدبها، ثم انتقلت إلى زين الذي كان عاجزًا عن الكلام، لم يجد ما يقوله سوى ترديد الكلمات التي حفظها عن ظهر قلب: زين لزينة، وزينة لزين، هذا قدرك، إياك أن تنساه، حتى يتحقق المراد.

حدَّقت الفتاة به وهي لا تعلم عما يتحدث؟، كانت تنظر إلى العجوز الغريب الذي يحدِّق بها في ذهول ولا تعلم ماذا أصابه؟، وعندما انتبه واستطاع أن يعي ما يحدث؟ قال محدثًا نفسه: كانت النبوءة صحيحة زين لزينة، وزينة لزين، ولكنه كان زين آخر في زمن آخر لم يكن يومًا أنا، لم أكن يومًا أنا المعني بتلك اللعنة، لم تكن مهمتي بل كانت مهمة

حفيدي.

ابتسم الجد ونهض يصافح العروس وهو يشعر بالسعادة الشديدة من داخله لقد انتهى الأمر على خير، لا تهم النبوءات ولا الأقدار التي يخطها البشر بأيديهم، ما يهم هو الإصرار على التغيير، هو الشجاعة في مواجهة الخطر بقلب قوي وعزيمة وإيمان، لقد استطاع أن يكسر لعنة عجز عنها الآخرون، ارتعب منها الآلاف فقط لأن والدته غالية كانت تثق به، كانت موقنة من فوزه ومؤمنة به؛ لذا استطاع أن يهزم خوفه ويتغلب على كل الصعاب.

كانت سعادته كبيرة عندما رأى زينة أمامه وعلم أنها لم تكن يومًا مقدرة له كما قال الكاهن بل كانت قدر زين حفيده، وشعر بالراحة عندما تيقن أن حفيده حمل نفس اسم جده وفِي المقابل جده حمل عنه حظه السيء.

تمت بحمد الله

إبداع

للترجمة والتدريب والنشر والتوزيع

info@ibda3-tp.com

dreidibrahim@gmail.com

ibda3bookstore@gmail.com